الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

رقم التسجيل :...../2006

الرقم التسلسلي:.....

التصوير البياني
في سورة الشعراء

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب(ة):عمار بشيري

إشراف الدكتور: دياب قديد

لجنة المناقشة

اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس	أ.د. راج دون	استاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
المقرر والمشرف	د. دياب قديد	أستاذ محاضر	جامعة منتوري قسنطينة
العضو	د. باديس فوغالي	استاذ محاضر	جامعة الأمير
العضو	د. صالح عزيزي	استاذ محاضر	جامعة تبسة

السنة الجامعية : 1427-1428هـ/ 2006-2007

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى روح والديّ...

إلى روح أخي يوسف..

إلى من حفزتني لخوض غمار هذا البحث... زوجتي..

وإلى ولديّ. إنصاف، وصفي الدين..

أهدي جهدي هذا...

عمار بشيري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمـــــــة

مقدمة

التصوير البياني هو أرقى ما تهفو إليه نفس السامع، ولسان الخطيب، وقلم الكاتب. وهو أرقى ما يمكن أن يكون عليه كلام بليغ، مؤثر..

ولعمري هل انقاد البشر إلا لمن كان له حظ من البيان، يستطيع بها تبليغ ما يريد تبليغه. لقد انساق كثير من الناس خلف بيان وبلاغة البلغاء أول ما انساقوا، قبل أن ينساقوا إلى الفكرة التي دُعوا إليها..

لقد كان الشعر العربي ببيانه زادا ضروريا لحياة العرب، فحفظوه وأثر في مجرى حياتهم، وكذا كانت الخطب، والأمثال، والوصايا ... لقد كان البيان يسري مسرى الدواء فيهم ولا يعرفون له اسما، لكنهم يعرفون أنه شيء جميل..

ولما كانت سنة الله في إرسال رسله إلى خلقه، لتبصيرهم بعظمته وجمعهم على عبادته، أن يجري على أيديهم معجزات تخالف السنن الكونية، خارقة للعادة، وتكون من قبيل ما اشتهر في زمانهم وغلب على خاصتهم، وعظم في نفوس عامتهم، فتكون معجزة الرسول مفحمة ومدحضة لأعجب الأمور في نظرهم ومبطلة لأقوى الأشياء في حسبانهم. فقد أيد الله موسى عليه السلام وكان عصره عصر سحر، بفلق البحر وانقلاب العصا حية تسعى، وانبجاس الحجر الصلب بعيون الماء الشروب. وأيد عيسى عليه السلام وكان عصره عصر طب وحكمة بإبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير من الطين وإحياء الموتى بإذن الله.

ولما أرسل الله رسوله محمدا -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس جميعا أيده بمعجزات حسية، وخصّه بمعجزة عقلية خالدة وهي القرآن الكريم، وكان ذلك في زمن سما فيه شأن البيان، وجلت مكانته في صدور أهله، فأدهش العرب لما سمعوه، فحير ألبابهم وعقولهم بسحر بيانه وروعة أسلوبه، ودقة ائتلاف ألفاظه ومعانيه، فأرادوا مجاراته ولكن هيهات، فهذا القرآن

في أعلى درجات البيان من حيث لفظه ومن حيث نغماته، ومن حيث الصور البيانية كاملة في روعتها ودقة تصويرها، بل إن لكل كلمة صورا بيانية تنبثق منها منفردة، وبتآخيها مع أخواتها في العبارة تتكون صورة بيانية أخرى.

وعندما نذكر الإعجاز البياني للقرآن الكريم، لا يعني ذلك إنكار وجوه الإعجاز الأخرى كالإعجاز العلمي، والنحوي، والنفسي، والعددي وغيره. وإنما لأن أكبر معجزة فيه هي معجزته البيانية، وهو ما حاولنا إبرازه في بحثنا هذا المتواضع، والذي نرجو أن يسهم في تجلية الجانب الجمالي والفني والبلاغي ولو بالنزر اليسير.

من هنا كان اختياري لموضوع **"التصوير البياني في سورة الشعراء"**.

أسباب اختيار الموضوع:

تعلقت بالتصوير البياني في القرآن الكريم، سيما عندما دخلت عالم الجامعة، وبدأت دروس البلاغة تصل مداركي، فحُبِّب إليّ الدرس البياني وتعلقت به أكثر من غيره.. وصرت لا أفتح كتاب الله إلا وتحدث آياته في نفسي تساؤلات متواصلة، خصوصا ما تعلق منها بالجانب البياني..

لماذا استعمل التشبيه في هذا الموضع أكثر من غيره؟ ولماذا كان التشبيه هنا حسيا وهناك عقليا؟ ولماذا جاء المجاز نيابة عن الحقيقة في هذه الآيات؟، ولم طُبعت هذه الآية بالتعبير الكنائي عن االتعبير الصحيح؟. وما سر تقديم الخبر هنا وتأخيره هناك؟ ولماذا يفرد هذا الاسم ويجمع الآخر؟... وغيرها من التساؤلات. فكنت أشد ميلا في دراستي للتصوير البياني.

وبما أن السورة التي أريد دراسة جوانبها البيانية هي سورة الشعراء، وفيها الآية التي يدور محورها حول الشعر، وكيف صحح القرآن خطوات الشعر والنثر معا، وكيف ألهم الأدباء أخلاقيات العمل الأدبي ليتجلى في صورة أجمل وأبهى، وقد دعاني ذلك كله إلى إيضاح دور القرآن الكريم وأثره في تطور النقد الأدبي.

ولعل من أسباب اختيار هذا الموضوع هو محاولة إضافة شيء إلى محاولات بعض الدارسين لتجديد الدرس البياني، ومحاولة إعادة قراءته على ضوء المناهج الحديثة.

ومما حفزني للاشتغال على هذا المحور هو قلة المراجع التي تناولت سورة الشعراء بالدراسة والتحليل من الجانب البياني. لأن الإشارات التي جاءت في ثنايا بعض الكتب لم تكن كافية للوقوف على حقيقة التصوير البياني في السورة.

المنهج وخطة البحث:

لتحقيق هذا البحث ارتأيت إتباع المنهج الوصفي التحليلي، لأنه المناسب في دراستي، للوقوف على دقائق التصوير البياني، وإبراز جمالياته وبلاغته في تقريب المعنى وتوضيح المقصد.

في ضوء هذا المنهج قسّمت البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول تطرقت فيه إلى جهود الباحثين في الدراسات القرآنية عموما، وجهودهم في الدرس البياني خصوصا. كما بينت الأثر الجمالي في التصوير البياني في القرآن الكريم.

أما الفصل الثاني فبدأته بتعريف موجز للسورة موضوع البحث، ثم تناولت بالدرس والتحليل الصور البيانية الواردة فيها، من تشبيه ومجاز بأنواعه، وكناية وتعريض، دون أن يكون القصد استقصاءها جميعا.

وفي الفصل الثالث تطرقت إلى أثر البيان القرآني في تطور النقد الأدبي العربي، فبينت موقف الإسلام من الشعر والشعراء، وتحدثت عن دور دارسي الإعجاز في تطوير الحركة النقدية مع التركيز على ثلاثة منهم، الرماني والخطابي والجرجاني. ودرست ما تعلق بقضية اللفظ والمعنى.

أما الخاتمة فقد جعلتها لرصد أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع، وكان أهمها كتب التفسير مثل الكشاف للزمخشري والتحرير والنوير للطاهر بن عاشور وفي ظلال القرآن، والتصوير الفني في القرآن لسيد قطب.

إضافة إلى كتب الإعجاز مثل: النكت في إعجاز القرآن للرماني، إعجاز القرآن للباقلاني، وبيان إعجاز القرآن للخطابي، ودلائل الإعجاز للجرجاني.

ومن المراجع الحديثة إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي لعلي مهدي زيتون، وأثر القرآن في تطور النقد العربي لمحمد زغلول سلام، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس، والتفكير النقدي عند العرب لعيسى علي العاكوب..

هذا وقد حاول البحث أن يستفيد من جميع المصادر والمراجع التي أشارت من قريب أو بعيد إلى هذا الموضوع.

صعوبات واجهت البحث:

وقد واجهت هذا البحث صعوبات، منها قلة المراجع التي تناولت سورة الشعراء بالدراسة والتحليل، في حدود علمي المتواضع، وإن كنا لا نعدم أن نعثر على بعض من تلك التحليلات لبعض المفسرين والدارسين البيانيين، وهي نثرات موجودة في بعض كتب التفسير البياني كالكشاف والتحرير والتنوير، التي عنيت بدراسة جوانب، لكن السورة لم تحظ جملة بالدراسة المستفيضة.

وإذا أراد الباحث أن يتحدث عن مراجع تصلح لأن تكون عليها دراسة تطبيقية، فإنه لا يكاد يجد ما يذكر عند الأقدمين غير الكشاف للزمخشري، وعند المحدثين غير في ظلال القرآن لسيد قطب والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وكذا بعض المتفرقات هنا وهناك ترهق المرء وهو يجمعها.

وأمر آخر، هو أن الدراسات البيانية الموجودة، وكذا جهد المفسرين، كان في الغالب منصبا على السور الأوائل كالبقرة...

كما أسجل عدم وجود دراسات حديثة، تعتمد المناهج الحديثة، لكشف تلك الجوانب البيانية، تطبيقا على سورة الشعراء- بطريقة يقبلها القارئ المعاصر.

شكر وعرفان:

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور دياب قديد الذي منحني من وقته الكثير وأفادني بتوجيهاته وإرشاداته القيمة، مما سهّل طريق البحث وذلل الكثير من الصعاب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

الدرس البياني للقرآن الكريم، كرونولوجيا وجماليات

* المبحث الأول: جهود الباحثين في الدرس البياني للقرآن الكريم
* المبحث الثاني: الأثر الجمالي في التصوير البياني في القرآن الكريم
* استنتاج:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لاشك أن القرآن الكريم معجزة بيانية خالدة، استوقف الأدباء والباحثين للنظر في سحره وبيانه وأدائه، وطرائق التعبير فيه، الشيء الذي دفع بالعلماء إلى استقراء أسراره البيانية.

وسعيا لتحديد الأسس الجمالية والبيانية التي حفل بها النص القرآني. كان تدافع الباحثين للعمل على إيجاد هذه الأسرار، ومن ثم تعريف القارئ بخصائص البيان القرآني.

ولعل الدارس للتراث العربي يلاحظ أن هناك مجموعة من الباحثين الذين اشتغلوا بالدرس البياني في القرآن الكريم محاولين استكناه سر الإعجاز، ومكونات البيان من خلال جملة مؤلفاته التي أولته اهتماما كبيرا.

ومن بين هؤلاء الباحثين نجد جهود الجاحظ حول الدرس البياني..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: جهود الباحثين في الدرس البياني للقرآن الكريم

نريد أن نركز على ذكر أشهر من ساهموا في الدرس البياني خدمة للقرآن الكريم، بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية. وللوصول إلى ذلك لابد من المرور ببعض المفسرين وبمن تكلموا عن الإعجاز البياني للقرآن. مع الإشارة إلى أهم مصنفاتهم في هذا الموضوع.

1- الجاحظ ورأيه في البيان القرآني

يمكن تصور رأي الجاحظ في بيان القرآن وإعجازه بتتبع بعض آرائه في كتبه التي وصلت إلينا. ونأسف لعدم وصول كتابه "نظم القرآن" وهو عمدة دراسته في هذا الموضوع، ولا بأس من استخبار كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان) اللذين من خلالهما ينثر أقوالا تؤكد إيمانه بأن القرآن معجز من حيث نظمه وتأليفه البديع. يقول في وصفه لبيان القرآن: «وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدقٌ نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، على ما سوى ذلك من الدلائل»[1]. ثم يعرض لمباحث بلاغية يستشهد لها بشواهد كثيرة من القرآن الكريم، يدلل بها على ما كان من أثر على فنون القول، وأنه يفوق كلام البشر في التعبير والمعاني. ولنعرض فيما يلي لمباحث من خلال كتابيه "الحيوان" و"البيان والتبيين":

أ- التشبيه:

يعرض للتشبيه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ(64)طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ(65)﴾»[2].

فيقول موضحا التشبيه في هذه الآية: «وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورته، ولكن لما كان الله قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين، واستماجه وكراهيته، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك، رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة

---

[1] - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1388 هـ-1969 م، ج 4، ص90.

[2] - سورة الصافات 65.

والتقريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين، وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم، وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن»[1].

وتعرّض له مرة أخرى فقال: «فزعم ناس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه، والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير، وقالوا: ما عَنَى إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم، من فسقة الجن ومردتهم. فقال أهل الطعن والخلاف: كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه، ولا وُصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق. ومخرَج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة والتقريع منها، وعلى أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره، فكيف يكون الشأن كذلك، والناس لا يفزعون إلا من شيء هائل شنيع، قد عاينوه، أو صوره لهم واصف صدوق اللسان، بليغ في الوصف، ونحن لم نعاينها، ولا صورها لنا صادق. وعلى أن أكثر من هذه الأمم التي لم تعايش أهل الكتابين وحملة القرآن من المسلمين، ولم تسمع الاختلاف، لا يتوهمون ذلك ولا يتقمون عليه ولا يفزعون منه، فكيف يكون ذلك وعيدا عاما؟! قلنا: وإن كنا لم نر شيطانا قط ولا صَوّر رؤوسها لنا صادق بيده، ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين، أحدهما أن يقولوا: لهو أقبح من الشيطان، والوجه الآخر أن يسمى الجميلُ شيطانا على جهة التطير له، كما تسمى الفرس الكريمة شوهاء، والمرأة الجميلة صماء، وقَرناء، وخنساء، وجرباء، وأشباه ذلك على جهة التطير له. ففي إجماع المسلمين والعرب، وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان، دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح»[2].

فقد أشار الجاحظ في هذا المقال إلى وجوه التشبيه، وتصرُّف الأسلوب القرآني في المشبه به ووجه الشبه ينتزعه من مدرك بالحس اعتمادا على ثبوته في الإدراك عن طريق العادة والعرف وتناقل الناس له، وقد أجاز الجاحظ مثل هذا التشبيه وبيّن وجهته وناقش آراء غيره في التشبيه من حيث ضرورة الاعتماد على الحس البصري لتصوير المعنى في الذهن. ومنذ ذلك العهد أو قبله بقليل اهتم الناس بهذين النوعين من التشبيه وتابعوهما في القرآن، وفي البيان

[1] - الجاحظ، الحيوان، ج4، ص39-40.
[2] - الجاحظ، المصدر نفسه، ج6، ص211-212.

عامة، ودارت بحوث التشبيه في البلاغة حول هذه النقطة، وتفرعت من هذين النوعين أنواع أخرى[1].

وهكذا كان لهذه الآية وأمثالها الأثر في تنبيه الناس إلى التشبيه، فأضحت على رأس الشواهد في التشبيه المعنوي في كتب النقد والبلاغة بعد الجاحظ.

ب- الاستعارة:

ويعرض للاستعارة، وهي عنده، تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه، ثم يأتي لتفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾[2].

فبيّن أن المراد بالخزنة الحفظة، وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ، ولا يختار دخولها إنسان فيُمنع منها، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به.

وعلى قول الشاعر:

وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها[*]

بقوله: وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»[3].

والاستعارة بهذا التعريف قد تختلط عنده بالتشبيه البليغ، وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

ج- المجـــاز:

ويعقد الجاحظ بابا بعنوان "باب آخر في المجاز والتشبيه في الأكل"[4]، فيستعمل المجاز بالمعنى المقابل للحقيقة، ويرد على من أنكر المجاز في القرآن، فهو من المعتزلة الذين أثبتوا

---

[1] - محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ط3، دار المعارف، د. ت، ص90.

[2] - سورة غافر 49.

[*] - عراصها، جمع عرصة، فضاء أملس بين أرضين ليس فيها بناء..

[3] - الجاحظ، البيان والتبيين، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت، ج1، ص86.

[4] - الجاحظ، الحيوان، ج5، ص25.

المجاز في القرآن، وأولوا الآيات المتشابهات، وهو في كلامه عن المجاز لا يذكر أنواعه المختلفة، فكله قد عدل به عن معناه الأصلي إلى معنى آخر فيه تحوير ومجاز، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا(10)﴾[1] مجاز لم يحدّد نوعه. وفي قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[2]، مجاز آخر لم يحدد نوعه.

ويمثّل الجاحظ للمجاز أيضا بقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾[3]، قائلا: «العسل ليس بشراب، وإنما هو شيء يحول بالماء شرابا، أو بالماء نبيذا فسماه كما ترى شرابا، إذا كان يجيء منه الشراب»[4].

وقد قال الشاعر[*]:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

«ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها، فقد خرج في اللغة من بطونها وأجوافها ومن حَمَل اللغة على هذا المركب، لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا، وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم، وبه وبأشباهه اتسعت. وقد خاطب بهذا الكلام أهل تهامة وهذيلا، وضواحي كنانة، وهؤلاء أصحاب العسل. والأعراب أعرف بكل صمغة سائلة، وعسلة ساقطة، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا أو طعن عليه من هذه الحجة»[5].

والمجاز في هذه الآية هو مجاز مرسل علاقته المسببية، حيث أطلق المسبب وهو الشراب وأراد العسل الذي هو سبب في الشراب، ويمكن أن يكون مرسلا بعلاقة "اعتبار ما يكون"، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[6]. أي أن المراد هو العسل الذي يصير شرابا حين يخلط بالماء، كما أن المراد من الخمر هو العنب أي: العنب الذي يصير بواسطة العصر خمرا.

---

[1] - سورة النساء 10.
[2] - سورة الحجرات 12.
[3] - سورة النحل 69.
[4] - الجاحظ، الحيوان، ج5، ص425.
[*] - معاوية بن مالك، وهو شاعر جاهلي عمّ لبيد بن ربيعة، وفي رواية: إذا "نزل" بدل "سقط".
[5] - الجاحظ، المصدر نفسه، ج5، ص425-426.
[6] - سورة يوسف 26.

وفي البيت المذكور مجازان: الأول في قوله "السماء" والمراد به الغيث بعلاقة المحلية، حيث أطلق المحل وهو السماء وأراد الحال فيه وهو الغيث.

والثاني: في الضمير المفعول به "رعيناه" وهو عائد على السماء التي أريد بها الغيث، والمراد بالضمير النبات على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته المسببية، حيث إن النبات مسبب عن الغيث، ولذلك قيل: إنه مجاز ذو مرتبتين، حيث أريد من السماء الغيث، ثم أريد بالضمير العائد إليها النبات المترتب على نزول الغيث.

وهكذا نرى أن المجاز عند الجاحظ هو استعمال لفظ في غير حقيقته على سبيل التوسع من أهل اللغة ثقة من القائل بفهم السامع[1].

د- الإيجاز:

ويعرفه الجاحظ بقوله: «ولو أن قائلا قال لبعضنا: ما الإيجاز، لظننت أنه يقول الاختصار، والإيجاز ليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار[*] فقد أوجز، وكذلك الإطالة، وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لا علاقة، ولا يردد وهو يكتفي من الإفهام بشطره، فما فضل عن المقدار فهو الخطل»[2].

ورأي الجاحظ في الإيجاز جزء من رأيه في البيان عامة، فالبيان التام عنده أن تكون الألفاظ والعبارات على قدر المعاني. وبناء عليه يمكن القول بأن العبارة الموجزة التي تعطي معان أكثر من ألفاظها بلاغة، وبقدر ما قل اللفظ وزاد المعنى، بقدر ما ارتفعت نسبة القول في مراتب البلاغة حتى تصل إلى درجة الإعجاز ممثلة في عبارات القرآن الموجزة. وهو نهاية إفهام المعنى المراد بالألفاظ التي يمكن أن تأتي للدلالة عليه دون حشو أو خطل.

---

[1] - المحمدي عبد العزيز الحناوي، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، ط1، دار الطباعة المحمدية، مصر، 1404هـ-1984م، ص94.

[*] - طومار: صحيفة كبيرة، ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ط1، دار صادر للطباعة، بيروت، 1997، مادة (ط.م.ر)، ج4، ص195.

[2] - الجاحظ، الحيوان، ج1، ص91.

وكثيرا ما تناول الجاحظ الإيجاز في بيان القرآن على ضوء الفهم السابق، فهو يقول: «إنه -أي القرآن- قد يدل بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرات على معان متعددة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلا بلفظ أطول وأقل دلالة»[1]. وهو يتعرض لبعض الآيات التي جاءت مثلا للإيجاز المعجز، وقد لا ينص على ما فيها من إيجاز ولكن شرْحُه لمعانيها، وبيانه لما تحتوي من معان، وتفصيله دال على اعتقاده في إيجازه المعجز، ومثال ذلك قوله في كتاب "العصا": «وقال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(30)أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا(31)﴾[2]، قالت الحكماء: إنما تبنى المدائن على الماء والكلأ والمحتطب، فجمع بقوله: «أخرج منها ماءها ومرعاها» النجمَ والشجرَ والملحَ واليقطين والبقل والعشب. فذكر ما يقوم على ساق، وما يتفنن وما يتسطح وكل ذلك مرعى. ثم قال على النسق «متاعا لكم ولأنعامكم»، فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله، لأن الملح لا يكون إلا بالماء، ولا تكون النار إلا من الشجر، وقال تبارك وتعالى[3]: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ(80)﴾[4].

وواضح من استشهاد الجاحظ بهذه الآيات وغيرها أنها لتوضيح إيجاز القصر، الذي يجمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة.

ويبين الجاحظ أن اللفظ القرآني قد نزل منزلته التي أريدت له، واختير ليدل بدقة على المعنى الذي قصد له، وبقدر الدقة في إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ الناس وبين ألفاظ القرآن، فقد يشترك لفظان في المعنى لكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة عليه، والقرآن قد تميز بروعة الاختيار، ووضع كل لفظ على معناه بدقة.

يقول الجاحظ شارحا ذلك: «وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موقع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع حال القدرة

---

[1] - الجاحظ، الحيوان، ج1، ص91.
[2] - سورة النازعات 30-31.
[3] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص12.
[4] - سورة يس 80.

والسلامة. وكذلك ذِكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، ألا ترى أنه لا تُجمع الأرض على أرضين، ولا السمع أسماعا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال»[1].

يتضح من خلال هذا النص أن الجاحظ من الباحثين الذين أكدوا أن القرآن معجز من حيث بلاغته ونظمه، وأنه لا يجارى في لفظه ومعناه، هذا وقد تناثرت أقوال أخرى للجاحظ في كتبه تدل على إيمانه العميق بالإعجاز البياني للقرآن.

في القرن الثالث الهجري احتدم الجدال حول مسألة وجوه إعجاز القرآن، وأول من فتح الباب فيه هو قول بعض علماء المعتزلة بفرضية الصَّرفة، وتتلخص فكرتهم في أن إعجاز القرآن لا يكمن في التعبير في ذاته، وإنما في أشياء أخرى، منها بالخصوص صرف الله للناس عن معارضته، قالوا إن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم، ولكن عاقهم أمر خارجي، فصار كسائر المعجزات. وأشهر من قال بهذه الفكرة أبو إسحاق إبراهيم النظام المتوفى سنة 220 هـ، وهو من علماء المعتزلة، حيث قال: «إن إعجاز القرآن إنما سببه ما فيه من إخبار عن الغيوب، كالإخبار عن عالم الغيب، وكالإخبار عن أحداث مستقبلة، مثل قوله تعالى: ﴿الم(1)غُلِبَتِ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3)فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(4)﴾[2]، وقوله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(16)﴾[3]، وإخباره بما في نفوس قوم وبما سيقولونه إلخ. أما التأليف والنظم والأسلوب فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله صرفهم عن الإتيان بمثله»[4].

---

[1] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص15-16.
[2] - سورة الروم 1-4.
[3] - سورة الفتح 16.
[4] - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، ج3، ص125.

وقد تصدى كثير من العلماء للرد على أصحاب هذه الفكرة، وألفوا في ذلك كتبا ورسائل احتجوا فيها لنظم القرآن، وبينوا فيها فساد فكرة الصرفة، ولكن - مع الأسف- كثير منها مفقود لا يعرف عنها شيء إلا من خلال كتب أخرى، كما ذكر المحققون مثل (نظم القرآن) لأبي عثمان الجاحظ المتوفى سنة 255 هـ، وقد أشار إليه في مقدمة كتابه (الحيوان)، ذكر ما يفهم منه أنه ألف كتابا في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه[1]. وأشار إلى هذا الكتاب أيضا الباقلاني، وقلل من أهميته، قال: «وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى»[2].

ومن هذه الكتب المفقودة أيضا (نظم القرآن) لأبي بكر عبد الله بن أبي داوود السجستاني المتوفى سنة 316هـ. و(نظم القرآن) لأبي زيد أحمد بن سليمان البلخي، المتوفى سنة 322هـ، و(إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى في أوائل القرن الرابع الهجري، و(نظم القرآن) لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بابن الأخشيد المتوفى سنة 326هـ[3].

وفي مبحثنا هذا نود التركيز على أهم ما وصل إلينا من آراء من تلك الكتب والرسائل، والتي ترجع إلى أواخر القرن الرابع الهجري، وإلى القرن الخامس الهجري، ونخص بالذكر (النكت في إعجاز القرآن) لأبي سليمان علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة 386هـ، و(بيان إعجاز القرآن) لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المتوفى سنة 388هـ، و(إعجاز القرآن) لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، المتوفى سنة 403هـ، و(دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، المتوفى سنة 471هـ.

وتمتاز تلك الدراسات عن سابقاتها بأنها كانت محاولات خاصة بإدراك حقيقة الإعجاز في نظم القرآن، ومعرفة أسرار أسلوبه، واصطنع هؤلاء منهجا في البيان، وقسموا منهجهم إلى أقسام تتعلق بالبلاغة، وتطرح قضيتها على بساط البحث، وتحاول الوصول إلى معرفة أي فنون القول أبلغ من غيرها، وأيها أقل بلاغة، ثم تحاول الوصول للإعجاز عن طريق البلاغة. أي

[1] - الجاحظ، الحيوان، ج3، ص10.
[2] - الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ت أحمد صقر، د. ط، دار المعارف، د. م، 1963م، ص6.
[3] - صقر، أحمد، مقدمة "إعجاز القرآن" للباقلاني، ص9.

إظهار القرآن في مظهر البالغ في تلك الفنون مبلغا لا يتسامى إليه ما عرف عند العرب من أرفع الأدب وأبلغ القول[1]. ولتوضيح أسرار البيان القرآني وإعجازه ينبغي الوقوف عند أهم محتويات هذه الكتب التي اهتمت بالدرس البياني من خلال القرآن الكريم.

2- النكت في إعجاز القرآن:

وصاحب هذه الرسالة هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ولد سنة 296هـ، بمدينة سامراء ببغداد، وقد كان معتزليا، توفي سنة 386هـ، وقد بدأ رسالته بالإبانة عن هدفه لتأليفها، وهو بيان أوجه إعجاز القرآن دون تطويل في الحجاج.

ثم بدأ في حصر وجوه الإعجاز حسب نظرته، فجعلها سبعة أوجه وهي:

1) ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.
2) التحدي للكافة.
3) الصرفة.
4) البلاغة.
5) الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.
6) نقض العادة.
7) قياسه بكل معجزة.

ومع أن الرماني رتب وجوه الإعجاز بالصورة الآنفة الذكر، فقد بدأ حديثه عن البلاغة، وكان ترتيبها الرابع في ذكر وجوه الإعجاز، ولكنه عند الشرح بدأ بها، وهذا يوضح أمامنا أمرا، هو أن الرجل مشغول بشأن البلاغة، وهو الوجه الذي جعله في البداية؛ وما يشغل البال يقفز في الحال، كما يقولون، حيث خصص لها -أي البلاغة- أغلب رسالته بما يشعر أنه يعتبرها أهم الوجوه[2].

لا يرى الرماني بلاغة في إفهام المعنى فحسب، بل قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي، وليست البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يتحقق اللفظ على المعنى،

[1] - محمد، زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص232-233.
[2] - "محمد بركات" حمدي أبو علي، دراسات في الإعجاز البياني، ط1، دار وائل، عمان، الأردن، 2000م، ص41-42.

وهو عنها مستكره، ونافر متكلف، وإنما البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[1].

هذا المفهوم يعني أن الذين اهتموا باللفظ دون المعنى، أو بالمعنى دون اللفظ، ليكون أحدهما وجه إعجاز القرآن، أو ليكونا معا، فإن فهمهم يحتاج إلى إعادة نظر.

والبلاغة مع اهتمامها باللفظ والمعنى، تحتاج إلى الأساليب الإنسانية حتى تؤثر في نفوس القوم، وحتى يصل المعنى إلى قلوبهم.

وهذا يوضح الطريق أمام باحثي الإعجاز القرآني، فهُم مع تباينهم لصورة اللفظ وقيمة المعنى، لابد من إبراز وجه التأثير في قلوب القوم. وعلى هذا الفهم جعل الرماني البلاغة في مستويات، وهي على ثلاث طبقات، منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة[2].

وعلى هذا الأساس نرى أن الرماني وضع شرائط للبلاغة العالية:

* أعلى مراتب البلاغة، تلك التي تقاس عليها كل بلاغة البلغاء، وهي بلاغة القرآن .
* لا المعنى بمفرده، ولا اللفظ بمفرده، ولا اجتماعهما معا يؤلفان الجمال البلاغي، وإنما هناك درجة أخرى وهي انتظامها في أساليب.
* إيصال المعنى إلى القلب، أصل من أصول ارتباط اللفظ بالمعنى في تبيان الجمال البلاغي.

ولهذا كانت فوائد البلاغة تتمثل في نقل المعاني من إنسان إلى آخر، لا على أية صورة، بل بصورة متوازية بين اللفظ والمعنى، حاملة إفادة للمستمع والمخاطب مهتمة بهما، لا بالمتكلم وحده، وهذه لفتة ذكية لاهتمام البلاغة بالمتكلم والمخاطب والسامع، وهي فائدة لم تغفل أي

[1] - أبو الحسن بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ت. محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط4، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص75-76.
[2] - المصدر نفسه، ص75.

عنصر من عناصر عملية التركيب البلاغي، محادثة أو مشافهة، وهذه فائدة ألح عليها النقاد والبلاغيون[1].

وقد لجأ الرماني إلى دراسة مفصلة لأقسام البلاغة خدمة للغرض الذي من أجله جعلها وجها كبيرا لإعجاز القرآن الكريم، وأقسامها تتمثل بـ:

1) الإيجاز.
2) التشبيه.
3) الاستعارة.
4) التلاؤم.
5) الفواصل.
6) التجانس.
7) التصريف.
8) التضمين.
9) المبالغة.
10) حسن البيان.

مقاييس البيان عند الرماني:

أول ما يلفت النظر في دراسة الرماني لفنون التعبير في القرآن، تعمقه في سر الجمال، وبحثه عن موطنه في العبارة، ولا يُقصِر بحثه على الناحية الموضوعية في الأسلوب، بل يتجاوزها إلى الناحية التأثيرية، ومثال ذلك، يقول في قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(73)﴾[2]: كأنه قيل:حصلوا على النعيم المقيم الذي لايشوبه التنغيص والتكدير، وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذُكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان[3].

---

[1] - "محمد بركات" حمدي أبو علي، دراسات في الإعجاز البياني، ص44.
[2] - سورة الزمر 73.
[3] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص76-77.

يرى أن سر الجمال هو الغموض الذي يطلق للنفس العنان فتذهب في الحدس كل مذهب وترتاد أفاق المعاني التي يتحملها التعبير، ولو قُيد المعنى بلفظ لقصر عن وجهه ولم يؤدّ الغرض تمام الأداء[1].

ومن طريف ما ذكر الرماني في تعليل جمال الإيجاز قوله: «والإيجاز على وجهين: أحدهما إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة، والآخر إحضار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة»[2]. فالنكتة إذًا هي قطب المعنى ومحوره، فمن توصل إليها بأقل عبارة أو استخرجها بأخص لفظ بلغ الذروة في البلاغة، وذلك دون إخلال بالتعبير[3].

وسر الجمال عند الرماني كامن في التعبير القرآني، كما يكمن أيضا في غيره من الكلام وفنون التعبير الأخرى، لهذا يقارن بين قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[4]. وبين المثل العربي "القتل أنفى للقتل"، فيرى أن التعبير القرآني عن المعنى المراد أبلغ، ويعلل سر بلاغته فيقول: «وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز فذلك يظهر من أربعة أوجه: إنه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن تأليفا بالحروف المتلائمة»[5].

ثم يرى أن من أسرار جمال الاستعارة دقائق، ففي تعبير القرآن مثلا لفظ "ضُربت" في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[6]. «حقيقته حصلت لهم الذلة، والاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة، كما يثبت الشيء بالضرب لأن التمكين به محسوس، والضرب مع ذلك ينبئ عن الإذلال والنقص، وفي ذلك شدة الزجر لهم والتنفير من حالهم»[7]. فكأن الروعة في الاستعارة في هذه الآية جاءت مع استعمال القرآن للفظ الضرب، وما استدعاه هذا اللفظ من المعاني والصور المختلفة، فمعنى التثبيت،

---

1 - "محمد بركات" حمدي أبو علي، دراسات في الإعجاز البياني، ص45.
2 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص79.
3 - محمد، زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص249.
4 - سورة البقرة 179.
5 - المصدر السابق، ص77.
6 - سورة آل عمران 112.
7 - المصدر السابق، ص90-91.

والمعنى الحقيقي للذلة، ومعنى التنقص، وغيرها من المعاني التي تشترك في تقوية التعبير في الآية[1].

ومن أسرار جمال التعبير القرآني عند الرماني أيضا، إثارة الأحاسيس النفسية المختلفة كالرحمة، والحب، واللذة، والألم، والغضب، والخوف، والانتقام.

وقال الله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ(7)تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[2]. شهيقا حقيقته صوتا فظيعا كشهيق الباكي، والاستعارة أبلغ منه وأزجر، لأن مقدار شدة الغيظ في النفس تدعو إلى شدة انتقام في الفعل، وفي ذلك أعظم الزجر. تنبه إلى مخاطبة القرآن للغرائز، ولاستخدامه لها في التعبير، واستخدام غريزة الغيظ، وشعور الغضب في النفس، فخلعها على النار، لتدل على الحقد، والتهيؤ للانتقام من الكافرين بابتلاعهم، فأدار هذه الغرائز التي تبعث في خفايا النفس فتذعن للخير وتبتعد عن المعصية[3].

ومن أسرار التعبير القرآني قوة تصويره للمعاني اعتمادا على حساسية البصر كما في قوله تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾[4]. أصل الحصيد للنبات، وحقيقته مهلكة، والاستعارة أبلغ لما فيه من الإحالة على إدراك البصر[5]. وقال عز وجل: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[6]. كل ما في القرآن من ذكر من الظلمات إلى النور فهو مستعار وحقيقته من الجهل إلى العلم، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار[7].

ويرى الرماني أن القرآن اعتمد في تعبيره على التصوير الحسي تقوية لهذه المعاني، ولإدراك المعاني المعدومة، وغير المعهودة للناس مما لا يقع في دائرة العقل البشري،

1 - محمد، زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص250.
2 - سورة الملك 8.
3 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص87.
4 - سورة يونس 24.
5 - المصدر السابق، ص92.
6 - سورة ابراهيم 1.
7 - المصدر السابق، ص92.

والتصوير أداة لتقوية هذه المعاني، وتثبيت لها في النفس، كما مثل النار في صورة المغيظ المحنق، وكما مثل يوم العذاب بيوم عقيم[1].

أكتفي بهذه الأمثلة، مع ظني أنها كفيلة لإبراز جهود الرماني حول الإعجاز البياني للقرآن.

3- بيان إعجاز القرآن للخطابي:

هو الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، ولد سنة 319هـ وتوفي سنة 388هـ، كان معاصرا للرماني، ويعتبر من أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري. له مؤلفات كثيرة منها: (معالم التنزيل) و(بيان إعجاز القرآن). وهذا المؤلف الأخير هو رسالة مختصرة عرض فيها رأيه في الإعجاز.

يقدم الخطابي بين يدي الكتاب بحثا في الأسلوب، فيقسم الكلام إلى أقسام ثلاثة، يقول: «فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها القريب الفصيح السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل»[2]. ثم يقول: «فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين، لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة تعالجان نوعا من الوعورة. فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوّ كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ليكون آية بينة ودلالة له على صحة ما دعا إليه من أمر دينه، وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور»[3]. ثم يذكر هذه الأمور وليس هذا موضوعنا.

وقد اعتمد في تقسيمه هذا على جانب اللفظ، فالأسلوب الواحد قد يحوي البليغ الرصين، والفصيح القريب السهل، ولكن ميزة القرآن كما يقول هي القدرة على اندماج تلك الألوان اللفظية في نظمه مع نبوّ كل واحد منهما عن الآخر.

---

1 - محمد، زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص252.
2 - الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ص87.
3 - المصدر نفسه، ص26.

وبهذا يمهد لنظريته في النظم، وصلة الألفاظ بعضها ببعض في العبارة، أو الآية، ويقسم الكلام على هذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

أ- لفظ حامل.

ب- ومعنى به قائم.

ج- ورباط لهما ناظم[1].

ثم يقول: «إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعنب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه»[2].

ثم يرى أن سر الإعجاز في القرآن إنما يجيء من تلك الناحية، يقول: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني»[3].

ويرى أيضا أن سرا من أسرار الإعجاز هو ذلك الجمع بين المعاني الرائعة والموضوعات المختلفة إلى ذلك النظم البديع التأليف الملائم مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن عصى ومن عاند منهم، منبئا عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الباقية من الزمان، جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم، وأدعى إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه. ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرهم[4].

ويعود بعد ذلك كله فيؤكد أن المعول وراء هذه الأمور كلها هو حسن نظمها والرابط بينها حتى يبدو الكلام متآلفا غير مفكك، وتأتي المعاني معبرة عنها الألفاظ في قدرة وقوة، فيقول: «ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها أصول الكلام موضعها الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة،

[1] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص27.
[2] - المصدر نفسه، ص27.
[3] - المصدر نفسه، ص27.
[4] - المصدر نفسه، ص28.

ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح ... »[1].

وبَيّن أوجه الخلاف بين مدلولات هذه الألفاظ التي تبدو مشتركة المدلول أو متشابهة المعاني، وهي إما فروق في المعاني، أو فروق في الاستعمال أو التركيب، أو فيما يدخل في علم النحو كأن تكون الكلمة متعدية لمفعول واحد أو مفعولين، أو لازمة. ويشغل الخطابي حيزا من الكتاب في أمثلة لتلك الألفاظ، بعضها من الأسماء والبعض من الحروف، وبعضها أفعال. ثم نبه الخطابي إلى شيء جديد في الأسلوب غير اللفظ والمعنى، ذلك هو النظم، ليصرف علماء البلاغة عن تلك البحوث إلى بحث أصيل ينبغي مراعاته، وإن لم يكن ذلك اختراعا منه وإنما أشار إليه سابقوه. وإنما يرى أن خصائص النظم تهذيب الألفاظ وإخضاعها للسياق، ومقتضى الحال، من ظروف الكلام والمتكلم، والمعاني التي أريد التعبير عنها. فليس غريب اللفظ -مثلا- بليغا في ذاته ولا تصح تسميته بأنه بليغ. يقول: «وأما ما ذكروه من قلة الغريب في ألفاظ القرآن بالإضافة إلى الواضح منها، فليست الغرابة مما شرطناه في حدود البلاغة، وإنما يكثر وحشيّ الغريب في كلام الأوحاش من الناس، والأجلاف من جفاة العرب، الذين يذهبون مذاهب العنجهية، ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخير له، وليس ذلك معدودا في النوع الأفضل من أنواعه، وإنما المختار منه النمط الأقصد الذي جاء به القرآن، وهو الذي جمع البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة»[2].

وإلى جانب اهتمامه بالنظم نجد له لفتات طريفة أخرى، فمن ذلك إدراكه الأثر النفسي في أسلوب القرآن، يقول: «قلت في إعجاز القرآن وجها آخر، ذهب عنه الناس ولا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في الحال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى

[1] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص29.
[2] - المصدر نفسه، ص37.

إذا أخذت حقها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف و الفرَق، ما تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب...» [1].

وإن كان سبقه إلى ذكر الأثر النفسي مَن قبله، يبقى أن الخطابي علل ذلك، وهذا الرأي الذي وصل إليه الخطابي مستوحى من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [2]. ويضرب أمثلة لمظاهر هذا الوجه، من ذلك خروج عمر بن الخطاب يريد الرسول الكريم، ويعمد لقتله، فسار إلى دار أخته وهي تقرأ سورة طه، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن. وغير ذلك من أمر عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة[3].

ثم ينتقل الخطابي في عرض لأقوال القائلين بأن إعجاز القرآن يقدح فيه وجود الغريب بالنسبة للواضح، وينتهي إلى البلاغة التي لا تعبأ بالغرابة ولا تعمل بها شيئا، ثم يذكر ما قالوا عن الحذف الكثير والاختصار الذي يشكل معه وجه الكلام ومعناه الأحسن، ثم ما كان من التكرار المتضاعف، ثم ما قالوا من أن تكون سور القرآن على ترتيب معين، إذ أخبار الأمم وأقاصيصهم في سورة، والمواعظ والأمثال في سورة، والأحكام في سورة أخرى.

ويظهر ذلك من خلال رسالته، وللتوضيح نورد رده على القائلين إنه لو قيل بدلا من: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ [4]، امضوا وانطلقوا كان أبلغ، مثال للذكي البصير من العلماء، إذ يقول: ليس الأمر على ما زعمه، بل المشي في هذا المحل أولى وأشبه بالمعنى، وذلك لأنه إنما قصد به الاستمرار على العادة الجارية، ولزوم السجية المعهودة في غير انزعاج منهم، ولا انتقال عن الأمر الأول، وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾. والمعنى كأنهم قالوا: امشوا إلى هينتكم وإلى مهوى أموركم، ولا تعرجوا على قوله، وتبالوا به، وفي قوله: امضوا وانطلقوا زيادة في انزعاج، ليس في قوله: امشوا، والقوم لم

[1] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص70.
[2] - سورة الحشر 21.
[3] - انظر: ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط8، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1406هـ 1986م، ج7، ص157-158.
[4] - سورة ص 6.

يقصدوا ذلك ولم يريدوه. وقيل بل المشي هاهنا معناه التوفر في العدد والاجتماع للنصرة، دون المشي الذي هو نقل الأقدام[1].

وبالإضافة إلى ما تقدم، كان للخطابي آراء في فلسفة البلاغة العربية وأصولها، وتمثل هذا في أقوال له: الحقيقة والمجاز، والإيجاز، والتكرار، والسجع.

ولا ينتقل من الحقيقة إلى المجاز إلا إذا توافر معنى البلاغة، حتى تؤثر في النفوس والقلوب تأثير الصدع في الزجاج ونحوه، وتمثل الخطابي لذلك قول الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[2] هو أبلغ من قوله: فاعمل بما تؤمر، وإن كان هو الحقيقة، والصدع مستعار، وإنما يكون ذلك في الزجاج ونحوه من فلز الأرض[3].

والإيجاز في موضعه، وحذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة، وإنما جاز حذف الجواب وحسُن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾[4]، لأن المذكور منه يدل على المحذوف، والمسكوت عنه من جوابه، ولأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به، والمعنى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال، أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن. وقد قيل: إن الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب في الحذف كل مذهب، ولو ذكر الجواب لكان مقصورا على الوجه الذي تناوله الذكر[5].

هذه بعض جهود الخطابي في الدرس البياني والتي أضافها إلى حقل الدراسات القرآنية، وأثرى بها خزانة الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

4- الباقلاني وكتابه "إعجاز القرآن": (ت403هـ)

إن الدارس لهذا الكتاب يلاحظ أنه قد اشتمل على ما يلي:

---

[1] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص43-44.
[2] - سورة الحجر 94.
[3] - المصدر السابق، ص44.
[4] - سورة الرعد 31.
[5] - المصدر السابق، ص51-52.

* بيان وجوه إعجاز القرآن.
* بيان وجوه إعجاز النظم القرآني.
* مقارنة تطبيقية بين أسلوب القرآن ،وأساليب الكلام البشري.

(1) وجوه إعجاز القرآن:

وتتلخص فيما يلي:

- إخبار القرآن بالغيب، وهذا مالا يقدر عليه البشر.

- إخبار القرآن بقصص الأمم الغابرة منذ عهد آدم إلى بعثة محمد، صلى الله عليه وسلم، مع العلم أنه كان أميا لايعرف القراءة والكتابة، ولا شيئا من كتب الأقدمين.

- أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه[1].

وانتقد بشدة فكرة الصرفة، ومما قاله: «ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة،لم يكن الكلام معجزا، و إنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه»[2].

(2) وجوه إعجاز النظم القرآني:

هذا هو المحور الذي يدور عليه كتابه، وتتلخص فكرته في أن للإنسان والجن طاقة محدودة في التعبير فلا يمكنهم أبدا أن يأتوا بمثل هذا القرآن[3].

ويرى أن إعجاز نظمه يظهر في عشرة وجوه هي:

1- أن نظمه خارج على المعهود من كلام العرب، مباين لجميع أساليبهم، فليس هو من قبيل الشعر ولا من باب السجع، ولا يشبه في شيء أي صنف من كلامهم الموزون، ولا أي نثر من أنواع نثرهم[4].

2- ليس للعرب كلام يماثله في فصاحته ومعانيه وحكمه[5].

---

[1] - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص33-35.
[2] - المصدر نفسه، ص30.
[3] - المصدر نفسه، ص10.
[4] - المصدر نفسه، ص35.
[5] - المصدر نفسه، ص36.

3- أن عجيب نظمه لا يتفاوت باختلاف الموضوعات، بخلاف البلغاء فلا يتأتى لهم ذلك، فقد يبدع شاعر في موضوع، ويخفق في آخر، وهذا ما يفسر نبوغ بعض الشعراء في موضوعات دون أخرى، وقد عبروا عن ذلك بقولهم: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب[1].

4- أن القرآن لا يتفاوت عندما ينتقل من معنى إلى معنى آخر، بخلاف كلام البلغاء، فنجدهم يضعفون في ذلك، فالنقاد على سبيل المثال، قد اتفقوا على نقد البحتري مع جودة نظمه وحسن وصفه في خروجه من النسيب إلى المديح[2].

5- أن القرآن يخرج أيضا من المعهود من كلام الجن، فهم عاجزون أيضا عن الإتيان بمثله بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(88)﴾[3]. ويشهد على ذلك أن الأشعار المنسوبة إلى الجن هي في مستوى كلام الإنس أو دونه[4].

6- أن القرآن يشتمل على أساليب الخطاب الموجودة في كلام البشر من بسط واقتصار وجمع وتفريق واستعارة وتصريح وتجوز، وتحقيق، ونحو ذلك، وأنه يتجاوز في الفصاحة والإبداع والبلاغة وحدود كلامهم المعتاد[5].

7- القرآن يشتمل على معان كثيرة مبتكرة في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين والرد على الملحدين، وابتكار القول في هذه مثل هذه المعاني يخرج عن حدود الطاقة البشرية، لأن تخير الألفاظ في المعاني المبتكرة أصعب من تخيرها في المعاني المتداولة المألوفة[6].

8- من خواص النظم القرآني الدالة على إعجازه أن الكلمة القرآنية إذا وضعت وسط كلام آخر فإنها تبرز فيه بحسنها، وتغمر سائر ما تقرن به، وتبدو وسطه كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في وسط العقد[7].

---

[1] - الباقلاني، المصدر نفسه، ص36-38.
[2] - المصدر نفسه، ص38.
[3] - سورة الإسراء 88.
[4] - المصدر السابق، ص38-39.
[5] - المصدر نفسه، ص42.
[6] - المصدر نفسه، ص42.
[7] - المصدر نفسه، ص42-44.

وصحيح أن لفظ القرآن مختار وفصيح لكنه لا يخرج عن ألفاظ اللغة التي يتداولها الشعر وسائر كلام العرب، وأن الذي يراه الباقلاني خاصية جديدة في لفظ القرآن، إنما هي عامل نفسي يرجع إلى كثرة ترديد المسلمين للقرآن حتى وعته أفئدتهم واستقر في نفوسهم في مكان جليل، وتركزت معانيه السامية حول ألفاظه، حتى إذا استعار الشاعر أو الناثر اللفظ القرآني، استدعى اللفظ المعنى القرآني إلى جانب معناه في عبارة الشاعر أو الناثر، فيبرز كلامه بذلك العامل، لا لخاصية راكزة في اللفظ[1].

9- تتضمن الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور تنبؤا غيبيا، فعدد السور المفتتحة بالحروف المقطعة جاء على قدر حروف المعجم، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور نصف حروف المعجم، وهي تشتمل على أصناف ما اصطلح عليه علماء اللغة فيما بعد بالحروف المتجانسة، وفيها من كل نوع نصفه، وهذا ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم، ومجيء هذه الحروف على النحو الذي اصطلح عليه علماء اللغة بعد ذلك بزمن طويل يشهد على إخبارها بخبر غيبي لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل[2].

10- أن القرآن سهل للفهم، ميسر للذكر، فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، وهو قريب إلى الإفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب غير مطمع مع قربه في نفسه، ولا موهم مع دنوه في موقعه أن يقدر عليه أو يظفر به[3].

(3) مقارنة تطبيقية بين القرآن وبين الكلام البشري:

ولكي يبرهن على صحة رأيه في أن القرآن خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة عرض علينا مجموعة من خطب ورسائل الرسول - صلى الله عليه وسلم- وصحابته وبعض البلغاء، وبين أنها لا تشبه في شيء نظم القرآن الكريم[4].

---

[1] - محمد، زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص282-283.
[2] - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص44-46.
[3] - المصدر نفسه، ص46-47.
[4] - المصدر نفسه، ص129-154.

ثم عقد مقارنة أخرى بين الشعر وبين القرآن الكريم، أوضح الفرق الشاسع بين أسلوبيهما، واختار لهذه المقارنة شاعرين اتفق النقاد على جودة شعرهما وعلى تقديمهما على غيرهما، أحدهما يمثل الشعر الجاهلي وهو امرؤ القيس، والثاني يمثل العصر العباسي وهو البحتري.

بدأ بامرئ القيس فدعانا إلى التأمل في أجود شعره، ونقده بيتا بيتا، وبَيّن ما بشعره من ضعف، فإذا كان هذا الشاعر قد أبدع في طرق الشعر أمورا اتبع فيها، فليس كل شعره متناسبا في الجودة ولا متشابها في صحة المعنى واللفظ، فنجد إلى جانب ما فيه من إبداع، أخطاء وتكرارا وحشوا وفحشا، ولفظا وحشيا ثقيلا، وضعفا عند الانتقال من معنى إلى آخر.

ثم انتقل إلى البحتري فدعانا إلى التأمل في أجود شعره، وبيَّنَ أخطاءه وضعفه وفعل مثل ما فعل مع امرئ القيس، واستنتج من ذلك كله أن في الكلام البشري ضعفا وأخطاء وحشوا وتكرارا وتعقيدا ونقصا في الربط عند الانتقال من موضوع إلى موضوع، وتفاوتا في الإجادة عند تناول موضوعات متعددة، وإمكان معارضة الكلام البشري بكلام أجود منه أو مساو له. فليس هناك كاتب واحد يستطيع أن يزعم أن كل ما كتبه ليس قابلا للنقد، فإذا كان أحدهم قد أجاد في بعض كتاباته، فليس معنى ذلك أنه لا يمكن لغيره أن يعبر عما عبر عنه بأسلوب أبلغ أو مساو له، فالكلام البشري غير منزه عن النقص[1].

أما القرآن الكريم فهو على العكس من ذلك، بديع النظم، عجيب التأليف متناه في البلاغة، وهذا الإبداع لا يختص بموضوع دون آخر، ولا يتفاوت من آية إلى أخرى، فهو يتمثل في قصصه ومواعظه وتبشيره وتخويفه، ووعده ووعيده، كما يتمثل على حد سواء في حكمه وأحكامه، وفيما يشتمل عليه من أخلاق كريمة وسير مأثورة، وفيما يضربه من أمثال وما يأتي به من حجج ولا تفاوت بين آياته الطويلة، وآياته القصيرة، كما أنك تقرأ القصة المكررة فلا تجد فيها تفاوتا في النظم بينها وبين أختها، وهو ينتقل بك من معنى إلى معنى فلا تجد فيه ذلك الضعف الذي تجده عند البلغاء عندما ينتقلون من شيء إلى شيء، ومن باب إلى باب[2].

---

[1] - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص158-249.
[2] - المصدر نفسه، ص37.

ثم أعطى الباقلاني تطبيقا على سورة النمل، وبعد الغوص في أغوارها والتدقيق في معانيها خرج بالاستنتاجات التالية:

- تماسك السورة في المعنى والموضوع، واللفظ والمعنى.
- سهولة الانتقال من حالة إلى حالة أخرى، ومن قصة إلى قصة أخرى.
- ظهور روعة السورة وقوة سبكها مع اختلاف موضوعاتها.
- الدقة في التعبير عن المعاني والملاءمة بينها.
- التآلف بين الألفاظ وانسجامها بحيث لا تحس تنافرا ولا إخلالا. وإذا ما تم تغيير لفظ واستبداله بلفظ آخر، فإن الاختلال يظهر في حينه والانسجام يفقد، ويشعر القارئ المتمرس على قراءة القرآن بأن هناك مفردة غريبة حلت في الآيات القرآنية، وهذا كله راجع إلى النظم القرآني.
- دقة اختيار الألفاظ الموحية المعبرة عن كل حالات الإنسان وظروفه المتغيرة حسب الملابسات التي تعترضه بين الحين والحين.

ويعطي الباقلاني مثالا على ذلك، عندما يتناول كلمة في وسط آية قرآنية وهي كلمة "ليأخذوه" في قوله تعالى: ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾[1]. يقول معلقا على ذلك، «وهل تقع في الحسن موقع قوله "ليأخذوه" كلمة؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة؟ وهل يسد مسده في الأصالة نكتة؟ لو وضع موضع ذلك "ليقتلوه" أو "ليرجموه" أو "لينفوه" أو "ليطردوه" أو "ليهلكوه" أو "ليذلوه"، ونحو هذا ما كان ذلك بديعا ولا بارعا، ولا عجيبا ولا بالغا»[2].

5- عبد القاهر الجرجاني ودلائل الإعجاز (ت 471 هـ)

يعد (دلائل الإعجاز) نقطة التحول في درس البلاغة والإعجاز، فقد انتهت تلك الجهود البلاغية السابقة إلى عبد القاهر، فاطلع على ما كتبه أسلافه وانتقى منها ما يساعد على إبراز فكرته في الإعجاز، وناقش بقية العناصر التي تحدثوا عنها واعتبروها من وجوه الإعجاز،

[1] - سورة غافر 5.
[2] - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص197.

وبين أن هذه العناصر لا تصلح من الناحية البلاغية أن تكون مفسرا للإعجاز القرآني، وانتهى من مناقشته إلى أن النظم هو العنصر الذي يمكن أن يناقش الإعجاز على أساسه.

لم يتحدث عبد القاهر في إعجاز القرآن إلا حديثا موجزا، لأنه مشغول بوضع الأساس الذي يحلل عليه كلام الله تعالى، فيعرف إعجازه ويبين عظمته ومنزلته في البلاغة، ويرد على من ذهب مذهب الصرفة، ويجعل معرفته أسرار الإعجاز بمعرفة أسرار النظم ودقائق وجوهه، وقد ألف كتابه في (دلائل الإعجاز) لعرض نظريته في النظم والتطبيق عليها ليجعل ذلك مقدمة لفهم إعجاز القرآن الكريم[1].

يقول عبد القاهر: «فإذا أثبت الآن أن لا شك ولا مرية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم أنها معدنه ومعانه[*] وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه في طلبه في ما عداها غارٌّ نفسه بالكاذب من الطمع، ومسلم لها إلى الخدع»[2].

لقد كان عبد القاهر يهدف من ذلك إلى تفسير مسألة الإعجاز تفسيرا علميا، لكي تكون الحجة به قائمة دائما، ولم يكتف بالقول أن تحدي القرآن للعرب بأن يأتوا بسورة أو سور من مثله، دليل على سمو أسلوبه وتفرده على الأسلوب العربي، لأن هذا يرفع الإعجاز من حيث لا يعلمون[3]، فالتحدي لم يكن لمعاصري النبي - صلى الله عليه وسلم-فحسب، حتى يكون صمتهم وعجزهم حجة تسحب على غيرهم، وإنما التحدي واقع في شيء يفوق طاقة البشر، ولابد لتفسير ذلك التفوق تفسيرا علميا، وتوضيح الجانب البلاغي الذي يمتاز به[4]، فكانت نظرية النظم. «إن عبد القاهر رسم منهجا علميا كاملا لدراسة النظم، وجعل هذا المنهج هو مفتاح فهم قضية البلاغة والإعجاز»[5].

---

[1] - خفاجي، عبد المنعم، مقدمة دراسة دلائل الإعجاز، ط1، مكتبة القاهرة، مصر، 1389هـ 1969م، ص17-18.

[*] - المعان: المنزل.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص458-459.

[3] - المصدر نفسه، ص251.

[4] - المصدر نفسه، ص58-59 و ص83-84.

[5] - خفاجي، عبد المنعم، مقدمة دراسة دلائل الإعجاز، ص34.

ولا يخفى على الدارس لتاريخ البلاغة ما كان سائدا في تلك الفترة التي عاش فيها عبد القاهر من جدل حاد بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، الذي كاد أن ينهكهم ويصدهم عن جوهر الموضوع، وهو سر الإعجاز القرآني، ويبدو هذا من قوله، وهو بصدد مناقشة قضية معارضة الكلام، إن «الفصاحة والبلاغة، وسائر ما يجري في طريقهما أوصاف راجعة إلى المعاني، وإلى ما يدل عليه بالألفاظ، دون الألفاظ أنفسها، لأنه إذا لم يكن في القسمة إلا المعاني والألفاظ، وكان لا يعقل تعارض في الألفاظ المجردة، لم يبق إلا أن تكون المعارضة، من جهة ترجع إلى معاني الكلام المعقولة، دون ألفاظه المسموعة»[1].

وقد يبدو من كلامه هذا أنه يعلي من قيمة المعنى، ويفضله على اللفظ في الصياغة أو النظم، فكيف يستقيم هذا، والأساس الذي أقام عليه نظريته في النظم، وهو ارتباط اللفظ بالمعنى وائتلافهما معا؟

إن المتأمل الفطن لوجهة نظره في المعنى، يتضح له أنه لا يقصد بذلك ما يتبادر إلى الذهن العادي، أي الفكرة المجردة، أو المضمون المجرد من السياق اللفظي، فهو يرفض هذا التصور وينحى باللائمة على أولئك الذين يفهمون المعنى على هذا النحو من التصور الخاطئ في نظره[2]. كما يبدو هذا أيضا من تفريقه بين موضوع الصياغة، والصياغة في حد ذاتها. مشبها النظم بالصياغة، والمعنى بالموضوع الذي يصوغ له الصائغ خاتما أو سوارا أو قرطا أو ما إلى ذلك.

وحيث إن جمال الشيء المصاغ يتفاوت من صياغة إلى أخرى، فإن العبرة ليست بموضوع الصياغة، بل بطريقتها.

يقول: «واعلم أن سبيل الكلام، سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى، الذي يعبر عنه، سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة أو الذهب، يصاغ منها خاتم أو سوار. فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في موضوع الخاتم، وفي جودة العمل أو رداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل، وتلك الصنعة، كذلك

[1] - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص415.
[2] - عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، ط4، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002م، ص215.

محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه، وكما أن لو فضلنا خاتما على خاتم، بأن تكون فضة هذا أجود، أو فضة هذا أنفس، لم يكن تفضيلا له، من حيث هو خاتم، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه، ألا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر أو كلام»[1].

وواضح من هذا النص أن المفاضلة بين تعبير وتعبير تتوقف على حسن الصياغة لا على موضوعها أو معناها المجرد.

ومن ثم، فإن المؤثر الفعال في النظم ليس مضمون السياق، ولا الفكرة المجردة، وإنما هو أمر آخر يفصح عنه عبد القاهر، في نص يفرق فيه بين مفهومه للمعنى وبين المادة التي يصاغ منها هذا المعنى، مسميا هذه المادة الأصلية، باسم المعنى الأصلي، أما ما يتفرع عنه من دلالة فهو معنى المعنى الذي يعد في رأيه المؤثر الفعال في النظم.

يقول: «الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل»[2].

وعلى أي حال، فإن عبد القاهر لم يقتصر في تناوله لقضية معنى المعنى، على هذا التفريق بينه وبين المعنى الأصلي، ولكنه تعدى ذلك إلى إبراز أهم خصائص هذه الظاهرة الأدبية، التي يتوقف عليها حسن الصياغة في التعبير، إذ يتوصل إليه بأداة أو واسطة تعبر على إدراكه[3].

---

[1] - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص254-255.
[2] - المصدر نفسه، ص254-255.
[3] - عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، ص217.

وقد تكون هذه الأداة صورة من صور المجاز أو لونا من ألوان الكناية أو الرمز[1]، وسواء أكان مجازا، أم كناية أم رمزا، فإن عليها مدار هذا المعنى، وبها تشكل صياغته. وليس معنى ذلك أن حسن الصياغة يرجع إلى هذه الوسائط والأدوات في حد ذاتها، ولا إلى مضامينها، وإنما يرجع في رأي عبد القاهر إلى طريقة إثباتها للمعنى.

وقد أدرك عبد القاهر هذا الأمر إدراكا واعيا، فأشار إلى المعنى الأصلي، أو الغرض. قد يعبر عنه بعبارتين مختلفتين، وقد تأتي إحداهما أبدع من الأخرى، وألطف معنى.

مثال ذلك أن نقصد تشبيه رجل ما بالأسد فنقول: هو كالأسد، فنفيد بذلك معنى، وهو أنه يشبه الأسد في كثير من الصفات.

غير أننا قد نعبر عن هذا المعنى، بعبارة مختلفة عن العبارة السابقة، ونبرزه في صورة مغايرة للصورة السابقة، فنقول: كأنه الأسد، وبذلك نحصل على معنى مختلف عن المعنى السابق، وأبدع منه، إذ يفهم من هذا المعنى أن صاحبنا من فرط شجاعته وشدة بأسه وقوة ساعديه، يخيل لمن يراه، أنه أسد في صورة إنسان[2].

وهكذا توصل عبد القاهر إلى تنقية كثير من المباحث التي سادت كتب الإعجاز قبله، ووضع لها الأساس الصحيح الذي يفهم على ضوئه الإعجاز البياني للقرآن، فكان كتابه (دلائل الإعجاز) نقطة التحول الحاسمة في هذا المجال.

ولكن الغريب أن عبد القاهر الذي عنون كتابه بدلائل الإعجاز لم يطبق نظريته التي توصل إليها على آي القرآن الكريم، فهو يأخذ أغلب النماذج التي حللها من الشعر وفصيح كلام العرب، حتى إنه يمكن أن تعد الآيات التي استدل بها على أصابع اليدين! وبديهي أن هذا لا ينقص من جهد عبد القاهر ولا ينقص من قيمة نظريته.

إن الجهد المتفرد والنجاح الباهر الذي لاقاه (دلائل الإعجاز) لم يكتب له النماء والتطور على يد البلاغيين اللاحقين، ولكنه تحول إلى التقعيد والتعقيد على يد السكاكي والخطيب

[1] - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص262-263.
[2] - المصدر نفسه، ص447.

القزويني وأصبح حجرا جامدا على يد السعد التفتازاني، كما يقول أحمد أمين، ولولا أن قيض الله لـ(دلائل الإعجاز) أو نظرية النظم من يطبقها على القرآن الكريم، لبقيت بغير تطبيق، وذلك ما نهض به الإمام الزمخشري، وقام به خير القيام في كشافه.

6- الكشاف وبداية التفسير البياني للزمخشري (ت 538هـ)

«ظل الحال على ما وصفناه، وامتلأت المكتبة القرآنية بكتب التفسير، وأظهرت عناية خاصة بالجوانب الفقهية والتشريعية والكلامية والنحوية... وغيرها، وظهرت مؤلفات في الإعجاز والأحكام ومفردات القرآن ومجازه وغريبه، وساهم تباين أذواق المفسرين وعقلياتهم وبيئاتهم وأنماط شخصياتهم، في ذلك العالم الواسع العريض الذي تتقاسمه ألوان وعصبيات مذهبية وسياسية وطائفية، فاقتضى هذا بطبيعة الحال، أن تواردت على القرآن الكريم أمم وطوائف شتى، تتذوقه متأثرة بظروفها الخاصة، ويفسره المفسرون منهم، تفسيرا يوجه النص توجيها يعوزه في كثير من الأحايين، ذوق العربية النقي ومزاجها الأصيل»[1]. وإن كان بعض تلك الاختلافات السياسية والمذهبية والطائفية، على سوءتها، قد أثرى الجوانب المختلفة في تفسير القرآن، وبلاغته، وأظهر الكامن من أسراره... على أية حال فإن لها جوانبها الإيجابية.

ظل الحال كذلك حتى أطل جار الله الزمخشري على العالم الإسلامي بكتابه الفريد (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، والذي يعتبر بحق رائد الدراسات البيانية المخصصة للقرآن الكريم، فكان طرازا وحده، فهو «تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، لِما أبان فيه من وجوه الإعجاز من غير ما آية من القرآن، ولما أظهر فيه من جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه بكثير من العلوم، لاسيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب، والمعرفة بأشعارهم، وما امتاز به في الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والإعراب، والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي على تفسير الكشاف ثوبا جميلا، لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب المفسرين»[2]. وقد أثنى عليه ابن خلدون، لما فيه من البلاغة واللغة والإعراب، بقوله: «ومن أحسن ما اشتمل هذا الفن من التفاسير، كتاب الكشاف للزمخشري، من أهل خوارزم العراق، إلا

[1] - عائشة عبد الرحمن، "بنت الشاطئ"، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1397هـ 1977م، ج1، ص16.

[2] - محمد حسن الذهبي، التفسير والمفسرون، ط2، د. ن، د. م، 1976م، ج1، ص433.

أن مؤلفه من أهل الاعتزال»[1]. ولكن ذلك لم يمنعه من الثناء عليه والدعوة إلى اغتنام مطالعته لغرابة فنونه في اللسان[2].

«وليس عجيبا أن يكون الكشاف كذلك أول كتاب في التفسير كشف لنا عن سر بلاغة القرآن، وأبان لنا عن وجوه إعجازه، وأوضح لنا دقة المعنى الذي يفهم من التركيب اللفظي، كل هذا في قالب أدبي رائع وصوغ إنشائي بديع، لا يتفق لغير الزمخشري إمام اللغة وسلطان المفسرين»[3]. وهكذا أصبح الكشاف عمدة الناس على اختلافهم فيه بين مشايع له ومخالف، ولكنهم جميعا يرجعون إليه، نظرا لطريقته البلاغية البيانية، وغوصه في دقائق المعاني، وإبرازها على طريقة علمية سائغة، وأقبلوا على درسه وشرحه وبنوا عليه عامة بحوثهم في القرآن، ولا يخلو تفسير أو تأليف في موضوع قرآني من رجوع إليه واعتماد عليه[4].

فلما جاء الزمخشري أكمل ما بدأه عبد القاهر، إذ طبق ما قدمه عبد القاهر على كتاب الله، ولم يكتف بذلك، بل عمل على استكمال المباحث التابعة، والملاحظ أن دراسة المعاني والبيان عند عبد القاهر والزمخشري لم تنفصل عن النصوص، فعبد القاهر قدم نظريته من خلال وفرة من النصوص من كتاب الله ومن الشعر والنثر، مع تحليلاته الذوقية والفنية، وكذلك فعل الزمخشري حيث قدم دراسته من خلال آي القرآن الكريم وكثير من الشعر[5].

ولكن المؤسف أن تلك الطريقة التي طبقها الزمخشري في كشافه، لم يكتب لها الاستمرار والنماء، فبدل أن تنمو وتزدهر على أيدي المفسرين الذين جاؤوا من بعده، توقفت وتراجعت، فأخذوا في تحديد التشبيهات والاستعارات والتمثيلات والكنايات، بعد أن بتروها من سياقها، وجردوها من تلك التحليلات الدقيقة التي ألبسها الزمخشري إياها، ونزعوا منها ذلك الروح الذي نفثه فيها! ورجع الدرس القرآني ليغرق من جديد في تلك المباحث الكلامية والجدلية والفرعية والفلسفية العقيمة، وعاد التفسير البياني غريبا كما بدأ، حتى قيض الله في هذا العصر، بعض الباحثين الذين أماطوا عنه اللثام وأعطوه نفسا جديدا، مثل سيد قطب.

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط2، دار القلم، بيروت، 1409هـ 1989م، ص491.
[2] - المصدر نفسه، ص491.
[3] - محمد حسن الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص442.
[4] - محي الدين بلتاجي، دراسات في التفسير وأصوله، ط1، دار الهلال، بيروت، 1987م، ص133.
[5] - رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التطور والتاريخ، ط2، منشأة المعارف، مصر، د. ت، ص34.

7- سيد قطب و(التصوير الفني في القرآن) (ت1387هـ)

سيد قطب من المفكرين المعاصرين الذين أثروا المكتبة القرآنية الحديثة بكتبه، (في ظلال القرآن)، (التصوير الفني في القرآن)، (مشاهد القيامة في القرآن).

لقد نظر سيد قطب وهو طفل صغير فأحس بجمال القرآن وسحره...[1] إنه القرآن الذي سحر الوليد بن المغيرة وغيره من صناديد الجاهلية فتولوا على أعقابهم، وسحر عمر بن الخطاب وغيره من المؤمنين فجاؤوا طائعين يعلنون إسلامهم بين يدي رسول الله، صلى الله عليه وسلم. إن القرآن الذي سحر الناس أول نزوله هو القرآن الموجود بين أيدي الناس يقرءونه ولا يجدون فيه ذلك السحر، لابد إذن من طريقة تكشف عن ذلك الجمال.

من هذا المنطلق بدأ سيد قطب في تناول سور القرآن يستجلي بيانها العالي، ويبين القدرة القادرة التي تصور بالألفاظ المجردة ما تعجز عن تصويره الريشة الملونة، والعدسة المشخصة «إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض -فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال- فليس البحث فيه إذن عن صور تجمع وترتب، ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز»[2].

إن التصوير هو القاعدة الأساسية «والأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية»[3].

---

[1] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط7، دار الشروق، بيروت، 1402هـ 1982م، ص8.
[2] - المرجع نفسه، ص9.
[3] - المرجع نفسه، ص36.

وكمثال على ذلك قول الله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ(14) ﴾[1].

يعلق سيد قطب على هذه الآية بقوله «وهي صورة تلح على الحس والوجدان، وتجتذب إليها الالتفات، فلا يستطيع أن يتحول عنها إلا بجهد ومشقة، وهي من أعجب الصور التي تستطيع أن ترسمها الألفاظ: شخص حي شاخص، باسط كفيه إلى الماء، والماء منه قريب، يريد أن يبلغه فاه، ولكنه لا يستطيع، ولو مد مدة فربما استطاع!»[2].

فرسمت هذه الآية ضعف الطالب والمطلوب، في صورة مجسمة شاخصة حية، «والحق يقال: إن التفسير الأول الذي عني بإبراز الصورة الجمالية في القرآن هو (في ظلال القرآن) على الرغم من وجود كتب أخرى حاولت استنباط هذه الصور وكشفها، وإبرازها إلى الوجود كتفسير الكشاف للزمخشري، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ومعظم كتب البلاغة، ولكن واحدا من تلك المؤلفات لم يبلغ ما بلغه سيد قطب في هذا المضمار»[3].

وهذه بعض النماذج على براعة التصوير البياني في القرآن عند سيد قطب.

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ(175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾[4].

فيعلق عليها بقوله: «وفي الصورة تحقير وتقذير -وذلك غرض ديني لا شأن لنا به هنا- ولكنها من الوجهة الفنية صورة شاخصة، فيها الحركة الذائبة، وهي صورة معهودة، فهي تثبيت المعنى المراد بها أشد وأقوى. وهكذا يلتقي الغرض الديني بالغرض الفني، كالشأن في جميع الصور التي يرسمها القرآن»[5].

---

[1] - سورة الرعد 14.
[2] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص41.
[3] - بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ط4، دار الشروق، بيروت، 1400هـ 1980م، ص138.
[4] - سورة الأعراف 176.
[5] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص45.

فهذه الآية يكشف من خلالها القرآن عن حال أولئك الذين يهيئ الله لهم المعرفة، فيفرون منها كأن لم تهيأ لهم أبدا، ثم يعيشون بعد ذلك هابطين، تطاردهم أنفسهم وأهواؤهم بما عملوا وبما جهلوا، فلاهم استراحوا بالغفلة، ولا هم استراحوا بالمعرفة، فيرسم هذه الهيئة[1].

كما ينتبه سيد قطب إلى تلك المشاهد المتنوعة التي رسمها القرآن سواء في الجو أو في الأرض أو يوم القيامة من ألوان النعيم والجحيم...

ففي الأرض مشهد متكرر، يمر به الناس غافلين عنه، وفي تأمله وتتبع حركته الوئيدة التي تكاد تتم في الخيال، وإن كانت معروضة في العيان، ما يلمس النفس، ويؤثر في الوجدان، ويتيح الفرصة لألوان شتى من التأملات. ذلك منظر الظل الذي تلقيه الأجرام فيبدو ساكنا، وهو يتحرك ببطء لطيف[2].

كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا(45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا(46)﴾[3].

وفي هذا المشهد جمال طبيعي يغري الخيال بالجولان، ويملي للخواطر في الهيمان، وكم في المشاهد المألوفة المكرورة ما يبدو جديدا، كأنما تتملاه العين أول مرة، حين تتجه إليه بالحس الشاعر المتفتح، والعين المتيقظة بالألوان[4].

8- محمد الطاهر بن عاشور وتفسير "التحرير والتنوير" (ت:1393هـ)

يعد تفسير (التحرير والتنوير) أحد التفاسير الحديثة المعروفة بالأصالة والإتقان، والإحاطة والشمول، والجودة والإحكام، شاهدة على براعة مؤلفه في استنباط قضايا الأصول والأحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية، فضلا عن تفننه في استجلاء قضايا اللغة وأسرار التراكيب، وخاصة ما يتعلق منها بالنظم وإعجاز القرآن، فهو أحد المصادر التي أعادت للمنهج البلاغي حضوره المتميز في الدراسات الحديثة.

---

[1] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص44.
[2] - المرجع نفسه، ص69.
[3] - سورة الفرقان 45-46.
[4] - المرجع السابق، ص70.

ففي سياق الاستدلال على المنهج البياني وأهميته في التفسير تحدث ابن عاشور عن هذا الموضوع وأعطاه حقه من البيان والكشف، واستند في آرائه إلى أقوال العلماء الجهابذة في هذا الشأن، وقد انطلق منذ البداية برؤية واضحة حدد بها وظيفة البلاغة في فهم المعنى، وإقناع السامعين[1]، فقال: «علم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني، واطمئنان النفس لها، وبه يترجح أحد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن»[2]. فالبلاغة إذن أداة ضرورية لفهم المراد من المعاني في النص القرآني، وبها تطمئن النفس بما يرجّح لديها من تلك المعاني كما يقتضي نظم القرآن وأسلوب الخطاب.

ويؤكد ابن عاشور تلك العلاقة الوطيدة بين علمي التفسير والبلاغة، فالبلاغة لها دور في فهم مقاصد الآيات والسور، وبيان وجوه الإعجاز فيها، فيقول: «ولِعلمَيْ البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنها وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم "علم دلائل الإعجاز"»[3]. ومن جانب آخر يعرّف الإعجاز في القرآن بقوله: «هو تفوق القرآن على كل كلام بليغ بما توفر فيه من الخصائص التي لا تجتمع في كلام آخر للبلغاء، حتى عجز السابقون واللاحقون منهم عن الإتيان بمثله»[4].

ويتطرق ابن عاشور إلى وجوه إعجاز القرآن، ويجملها في أربعة وجوه، وإن كان ما يهمنا هو الوجه الأول والثاني.

وهذان الوجهان هما مظهران للإعجاز البياني في القرآن الكريم: أولهما، في بيانه وطرائق تعبيره وأساليبه في الخطاب[5]. وثانيهما، في أساليبه المبتكرة، وفنونه الجديدة التي لا عهد للعرب بها، ولكنها مما تسمح به اللغة العربية. كما يقول ابن عاشور: «ولكنه (أي ما أبدعه

---

[1] - بن عيسى بطاهر، قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، مجلة التجديد، ع 11، تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ذو القعدة 1422هـ فبراير 2002م، ص198.

[2] - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، د. ط، الدار التونسية، تونس، 1984م، ج1، ص21.

[3] - المرجع نفسه، ج1، ص19.

[4] - المرجع نفسه، ج1، ص 101

[5] - بن عيسى بطاهر، قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، ع 11، ص198.

القرآن) غير خارج عما تسمح به اللغة»[1]. فهذا الإبداع إذن من جنس اللغة وخصائصها المتاحة لجميع الناس، والبليغ هو الذي يحسن التعامل مع اللغة، فيحدث فيها ما يسميه النقد الحديث (عملية الخلق في اللغة)، وهي نوع من الابتكار في طرائق العرض، والتفنن في الأساليب بما يناسب الذوق الأدبي في كل عصر، ومن هنا كان القرآن معجزا بإبداعاته الأسلوبية تحقيقا للإمكانات الكامنة في اللغة العربية التي يعرف العرب أسرارها وأغوارها، ولذلك لم نسمع منهم أي اعتراض يشير إلى خروج القرآن عما يسمح به بيانهم ولغتهم[2].

ويسوق ابن عاشور بعض النماذج عما ذكره، منها: الأسلوب المعجز في نقل حوارات الآخرين، فيرى أن هذا الأسلوب معجز وجديد، لأنه يحكي أقوالا مختلفة فيصوغها بالعربية صياغة تبلغ حد الإعجاز، وهو يتصرف فيها تصرفا يناسب نظمه المعجز، والإعجاز الثابت للأقوال المحكية في القرآن هو إعجاز للقرآن لا للأقوال المحكية[3]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5)﴾[4].

قال ابن عاشور عن دقة التعبير في الآية، وروعة الإعجاز في نقل كلام الآخرين: «كلمة "اكتتبها" دالة على أنه تكلف أن يكتبها، ومعنى هذا التكلف أن النبي-صلى عليه وسلم- لما كان أميا كان إسناد الكتابة إليه إسنادا مجازيا، فيؤول المعنى: أنه سأل من يكتبها إليه... والبكرة والأصيل كناية عن كثرة الممارسة لتلقي الأساطير[5].

كذلك يتطرق إلى أسلوب التمثيل، والذي يقصد به ابن عاشور تلك الأمثال التي ساقها القرآن لهداية البشر وإقناعهم، وعرفها بقوله: «هي حكاية أحوال مرموز لها بتلك الجمل البليغة التي قيلت فيها، أو قيلت لها»[6].

---

[1] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص104.
[2] - بن عيسى بطاهر، قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، مجلة التجديد، ع 11، ص176.
[3] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص121-122.
[4] - سورة الفرقان 4-5.
[5] - المرجع السابق، ج17، ص325.
[6] - المرجع نفسه، ج1، ص121.

وقد كان للعرب كما يذكر الزركشي أمثالهم السائرة التي تداولتها الألسن في الاستعمال، ولكن لما طال عليهم الأمد نُسيت الأحوال التي وردت فيها، أما القرآن الكريم فقد أبدع في الأمثال أيما إبداع، وجاء فيها بكل جديد، حتى عدت الأمثال عند دارسي الإعجاز من فنونه البليغة، وأساليبه المعجزة[1].

ومن أمثلة التمثيل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ(18)﴾[2].

قال ابن عاشور: «هذا تمثيل لحال ما عمله المشركون من الخيرات حيث لن ينتفعوا بها يوم القيامة ... ومن لطائف هذا التمثيل أن اختير له التشبيه بهيئة الرماد المتجمع، لأن الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا وأشيعها بينهم، وهو قرْي الضيف حتى صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم»[3].

والتمثيل عند علماء البيان لفظ عام يشمل التشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها، وهذا معروف في كلام العرب. أما الأسلوب الجديد في القرآن والذي يقصده ابن عاشور فهو في تلك الجمل البليغة التي تحكي أحوالا معينة بصيغة المثل، بحيث أصبحت حاضرة في أذهان المخاطبين وفي استعمالاتهم، وهذا هو الجانب المعجز في أسلوب القرآن.

وما يمكن قوله في الأخير عن تفسير (التحرير والتنوير) أنه أحد أهم التفاسير التي عنيت بالمنهج البلاغي في العصر الحديث، ودفعت بالباحثين والمشتغلين بالدرس البياني في الدراسات القرآنية، بالرجوع من جديد إلى الغوص في بحر قضايا الإعجاز البياني الكامنة في آي القرآن الحكيم. كيف لا وقد شهد له بسعة علمه ورجاحة فكره، الشيخ البشير الإبراهيمي، إنه: «علَم من

---

[1] - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ت، ج1، ص486 وما بعدها.

[2] - سورة إبراهيم 18.

[3] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص212-213.

الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال لها، واسع الثراء من كنوزها»[1].

9- بنت الشاطئ و(التفسير البياني للقرآن الكريم)

من النساء المعاصرات اللائي أسهمن في الدرس البياني للقرآن عائشة عبد الرحمن، المعروفة ببنت الشاطئ، التي تولت التدريس في عدة جامعات جاعلة النص القرآني موضوعا لدراستها البيانية التي تلقيها على طلبتها، ثم طبعت ذلك الجهد في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم).

تعيب بنت الشاطئ على الأساتذة انشغالهم في الدرس الأدبي بالمعلقات والنقائض والمفضليات ومشهور الخمريات والحماسات والمراثي والمدائح والغزليات، ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات، وابتعادهم بهذا ومثله عن القرآن الكريم، الذي لا جدال في كونه كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة، ويستشف أسرارها في البيان من خصائصها في التعبير...[2]

بقي المنهج المتبع في التفسير ودرسه تقليديا وأثريا لا يعدو فهم النصوص القرآنية اعتمادا على فهم المفسرين الأوائل، وحتى تلك المحاولات الحديثة التي قامت هنا وهناك في مجال الدرس الأدبي للقرآن الكريم، ظلت لصيقة بمادة التفسير، بمعنى الاهتمام بكل ما له علاقة بالنص من فقه ولغة وتشريع وغيرها، دون أن يتنقل إلى الدرس البياني الخالص[3].

وتؤكد بنت الشاطئ ما قرره الإمام الزمخشري من قبل، أن الذين يريدون درس ناحية من نواحي الكتاب الخالد، أو التماس مقصد من مقاصده، لا يستطيعون أن يبلغوا من مقاصدهم تلك

---

[1] - "آثار محمد البشير الإبراهيمي"، عيون البصائر، جمع وتقديم: نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج3، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص549.

[2] - عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، مقدمة الطبعة الأولى، ج1، ص13.

[3] - المرجع نفسه، ج1، ص13 (لم تشر من قريب أو بعيد للمحاولة الرائدة التي أخرجت درس التفسير والإعجاز من الجمود الذي أصابه، والتي نهض بها سيد قطب، بيد أنها ذكرت محاولات الأستاذ أمين الخولي، والأستاذ الرافعي "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"!).

شيئا ذا بال، ما لم يفقهوا أسلوبه الفريد، ويهتدوا إلى كل أسراره البيانية التي تعين على إدراك دلالته، وسواء كان الدارس يريد أن يستخرج أحكامه الفقهية، أو يستجلي موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية، فهو مطالب بأن يلمح الجوانب البيانية في القرآن الكريم، لتكون عونا له على مبتغاه[1].

والمنهج الذي اتبعته بنت الشاطئ في دراستها تلك، تقوم على استقراء اللفظ القرآني في كل موضع ورد فيه، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على نظائرها في الكتاب المحكم، وتبرير سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف، التماسا لسرها البياني، مع الاستعانة بما ثبت من أسباب النزول، مع ترتيب النزول، بفهم السياق العام للآية ودلالتها.

ولنعط نموذجا من تفسيرها لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ(7)﴾ وهي الآية السابعة من سورة الضحى، فبعدما عرضت أقوالا لبعض المفسرين حول لفظة "الضلال" الواردة في الآية السابقة، إذ من المفسرين من يرى أن الضلال نقيض الحق، ومعناه اللغوي الأصلي فقدان الطريق، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

ومن المفسرين من قال في آية الضحى: إن الضلال هنا هو الكفر، بمعنى أن محمدا - صلى الله عليه وسلم- كان على أمر قومه أربعين سنة. وأنكره جمهور المفسرين وردوه بأن الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها، من الكبائر والصغائر الشائبة، فما بال الكفر؟![3]. ومن المفسرين، كما تذكر عائشة عبد الرحمن، من فسرها: أي ضالا، أي وجد رهطك ضالا فهداه بك، على حذف المضاف، أي رهط[4]. فترى أنه لا حاجة إلى كل هذه التأويلات، مما ذكر منها وما لم يذكر، بل يكفي في الرد على من فسروا الضلال بالكفر، أن

[1] - عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص15-18.
[2] - سورة السجدة 10.
[3] - المرجع السابق، ج1، ص44.
[4] - المرجع نفسه، ج1، ص45.

الاستعمال القرآني لا يلزم دائما هذا المعنى الاصطلاحي، وإنما لوحظ فيه، الأصل اللغوي من ضلال الطريق، أو عدم الاهتداء إلى الصواب[1].

قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ(95)﴾[2]. وقالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(8)﴾[3]، وليس الضلال هنا كفرا، وإنما هو الشغف بيوسف. وقال النسوة في امرأة العزيز ويوسف: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(30)﴾[4]. وفي سورة الشعراء حكاية عن موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(20)﴾[5]، وفي شهادة رجل وامرأتين على الدين بآية (البقرة 282): ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. وليس شيء من هذه الآيات بالذي يُحمل الضلال فيه على معناه الاصطلاحي وهو الكفر[6].

ولا نقول هنا إلا ما قاله الله تعالى لنبيه المصطفى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[7]. فقد كانت حالته قبل البعث حالة حيرة: عاف حال قومه وأنكرها، ولكن أين الطريق المستقيم؟ وكيف المخرج والنجاة؟ ولبث على حيرته أمدا، حتى جاءته الرسالة فهدته إلى الدين القيم وأبانت له سواء السبيل بعد طول حيرة وضلال[8].

وتقر بنت الشاطئ في الأخير أن التفسير ما هو إلا محاولة للفهم على وجه التقريب، بالكلمات المفسرة، لأنه يتعذر الإتيان بكلمة مكان كلمة في النص القرآني، أو استبدالها من موضعها الذي وردت فيه[9].

---

1 - عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص45.
2 - سورة يوسف 95.
3 - سورة يوسف 8.
4 - سورة يوسف 30.
5 - سورة الشعراء 20.
6 - المرجع السابق، ج1، ص46.
7 - سورة الشورى 52.
8 - المرجع السابق، ج1، ص46-47.
9 - المرجع نفسه، ج1، ص7-9.

وذلك ما قاله علماء البلاغة القدامى وعلى رأسهم الخطابي[1] وعبد القاهر الجرجاني[2].

ولعل محاذير هذا المنهج في التفسير أنه يغفل جوانب القرآن المتعددة، من أسرار الإعجاز في معانيه وتشريعاته، وأحكامه ومبادئه للحياة الإنسانية الفاضلة، ويتخذ من النص القرآني مادة للدراسة الأدبية كالنص الشعري أو النثري، ودراسة النصوص الأدبية تعتمد على الذوق اللغوي الذي يتفاوت من شخص لآخر بتفاوت ثقافته[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - يقول الإمام الخطابي في هذا الشأن: «ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه ...» بيان إعجاز القرآن، ص29.

[2] - انظر مثلا: دلائل الإعجاز، ص89-259 وما بعدها.

[3] - القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1420هـ 1999م، ص375.

المبحث الثاني: الأثر الجمالي في التصوير البياني في القرآن الكريم

لا ريب أن القرآن الكريم يجمع بين الهدف الديني، والمطلب الفني من حيث الجمال في العرض، والتنسيق في الأداء، والتأثير في النفس، مما يستثير كوامن الوجدان، فتتفتح النفس استعدادا لتلقي المطلب الديني في صفاء وجمال وجلال. والتصوير في القرآن نسيج تعبيري متفرد، وهو أحد الملامح الفنية في الأسلوب القرآني. هذا الأسلوب الذي اتخذ تفرده من نفس العطاء اللغوي، فتحدى به الرسول - صلى الله عليه وسلم- حملة القول وأصحاب اللغة.

إذ إن الصورة الفنية الجميلة ترتبط ارتباطا لغويا وخياليا بالتعبير الحسي، وهذا يؤدي إلى تعميق الدلالة وتوضيحها، فيصبح المعنى غنيا ومؤثرا في النفس. وجمال التصوير في القرآن ناتج عن تضافر الملكات الذهنية والحسية تضافرا كاملا. والربط بين الأشياء المتآلفة أو المتنافرة، تثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية، ومن ثم تصبح الصورة البيانية تعبيرا إشاريا لحقائق الأشياء بما يكتنفها من جماليات في المعنى والأداء[1].

والتصوير الفني وسيلة مميزة ضمن وسائل القرآن الكريم ومنهجه التعبيري المعجز. والاهتمام بالصفة الحسية غالب في الصور القرآنية، مما يعطي للصورة بعدا مجسما وثقلا تخيليا يثير الذهن والوجدان. كما أنه يوضح العلاقة بين المعنى المراد إيجازه والتصوير المستعان به.

إن المادي الحسي والفكري الوهمي أو الخيالي، يتعانقان تعانقا ملحا في مجال الدلالة الأدبية.. فالدلالة بنية عضوية حية متميزة من حصيلة الأقسام التي يمكن أن تتحلل إليها.. الدلالة الأدبية بحال..[2].

---

[1] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، سلسلة شهرية تصدرها رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة التاسعة، ع99، 1410هـ 1990م، ص42.

[2] - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ط3، دار الأندلس، د. م، 1983م، ص56-57 بتصرف.

والتصوير في القرآن منهج كامل وطريقة متبعة، لا تخطئها العين، مما يصبح ظاهرة أدبية لها تميزها وتفردها ومجالها الخاص. إنه يحول الألفاظ والتراكيب إلى صور عامرة بالحياة والحركة[1]. وإذا ما ألقينا نظرة على مجالات التصوير، فإننا ندرك أن الصورة الحسية المؤثرة تتواكب بكثرة في مناحي مختلفة، فهي تأتي في مجال الإدراك العقلي والذهني المجرد، كما تأتي لتجسم الحالة الوجدانية وتصور المشاعر الإنسانية وتشخص الجمادات أناسا يحبون ويعقلون ويحيون، مما يعطي للصورة الأثر النفسي، كما يعطي للمعنى، الدلالة المصاحبة للصورة في إبراز مجسم للمعنى المراد. ولا يقف التصوير الفني عند حدوده البلاغية المعروفة من تشبيه أو مجاز أو كناية أو استعارة، أو غيرها. وإنما هو يتعدى ذلك كله إلى كلية الصورة التي يرفدها الجرس اللفظي والتآلف الصوتي، والتطريب النغمي، وموسيقى السياق كله، فضلا عن إثارة مجالات الحس والذهن، عبر ظلال من متممات الصورة، كالتلوين بتماثله وتضاده، والحركة في علوها وانخفاضها، وصخبها وسكونها، والصوت المنبعث من الحروف اللفظية، أو من حوار الشخصية، أو من هدوء النغم أو ارتفاعه. إنه التصوير الحي المنتزع من عالم الأحياء[2].

كما يقول سيد قطب: «تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانات. فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة»[3].

إن طريقة التصوير في القرآن الكريم هي التي جعلت للمعاني والأغراض والموضوعات القرآنية صورتها التي نراها. وهي صورة تختلف تماما عن نقل المعاني في أداء تجريدي أو صورة ذهنية، ففي هذه الحالة تصل المعاني إلى المتلقي في أداء ذهني خال من الجمال التعبيري، فيصبح التأثير فيه مرتبطا بدرجة المتلقي العقلية.

---

[1] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص42.
[2] - المرجع السابق، ص43.
[3] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص37.

وحتى نوضح هذا المعنى نضرب بعضا من النماذج القرآنية التي يتجلى فيها التصوير البياني كأداة تعبيرية فائقة الجمال ونافذة التأثير، وهذه النماذج التي وردت كثيرا ما تصور المعاني الذهنية تصويرا حسيا يجسمها ويشخصها ويجعلها ماثلة للعيان.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ(18)﴾[1]. السياق في الآيات يوضح أن الكفار قد استهزأوا برسل ربهم فأعد الله لهم عذابا أليما يوم القيامة. ثم يأتي المثل الذي ضُرب في الآية السابقة لبيان أعمال هؤلاء الكفرة وطبيعتها، وهباء نتيجتها، والصورة تبين لنا أعمال الكفرة التي عملوها في حياتهم الدنيوية، كمكارم أخلاقية من صلة الأرحام وعتق للرقاب وفداء للأسرى والمال المتصدق وإغاثة الملهوف، هذه المكارم الأخلاقية التي يبتغون بها الأجر والثواب، يشبه الرماد الذي تعصف به الريح فيصير هباء منثورا. وأهمية الصورة هنا أنها تبين أن ما قام «على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف... فلا يرون له أثرا من ثواب كما لا يُقدر من الرماد المطير في الريح على شيء»[2].

إن الصورة الحسية تدور حول الرماد الهش الذي لا يصمد أمام قوى الريح العارمة، فثمة شيء ذهني أو عقلي، يتمثل في هذا العمل المعنوي الذي يرجى منه الخير والثواب، هذا العمل ممتد في جنباته، كالكرم، وصلة الرحم، و الإغاثة، وهي صفات معنوية جسدها التصوير التشبيهي تجسيدا قويا، ولكن التصوير الفني علا على أطراف التشبيه، حيث بدت لنا حركة الريح شديدة ومستمرة، هذا الاستمرار يستفاد من كلمة "عاصف" وهو اسم الفاعل الذي يحمل دلالة الاستمرار، وكذلك لفظ "اشتدت" حيث توحي بقوة الحركة الفعالة، فضلا عما تشير به لفظة "الريح" من دلالات مصاحبة، ويظل عالقا في الذهن لتلك الأعمال المتناثرة في الجو كالهباء[3].

---

[1] - سورة إبراهيم 18.

[2] - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، د. ط، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ص298.

[3] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص45.

وهناك نموذج آخر تبرزه الصورة الحسية في موضوع الصدقة، صورة فريدة ومؤثرة، لقد جلاها القرآن في نسق تعبيري معجز، وأوضح التصوير الفني بظلاله وإيحاءاته، جوانب الصورة بحيث بدت الصدقة -كقيمة أخلاقية- مشهدا محسا يخاطب حواس الإنسان، وله الطابع التخييلي المجسم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(264)﴾[1].

لقد نقلت الآية الكريمة معنى الصدقة المصحوبة بالرياء في صورة حسية متخيلة، والتخييل قائم على التصور العيني، ومنتزع من البيئة، وإمكانية تلمسه وتحسسه ممكن واقعيا. والسياق القرآني يتعرض للنظام المالي والاجتماعي في الإسلام ويُظهر وجهة النظر الإسلامية في هذا الشأن. وهو نظام يتمثل في الزكاة المفروضة كما يتمثل في الصدقات العامة. ومن هنا فإن السياق يتحدث عن آداب الصدقة وسلوكيات المتصدق، بحيث تصبح الصدقة عملا تهذيبيا لنفس معطيها، وعملا نافعا لآخذها، وتكافلا للمجتمع بأسره. ومن أجل إبراز هذه الحقائق جاء التصوير ناطقا في مشاهد حية ملموسة يصل تأثيرها إلى الأعماق.

والسياق التاريخي يبرز أن هناك من كان ينفق المال كارها أو مرائيا، أو يتبعه المن والأذى. ومن ثم خاض القرآن معركة المال من أجل تخليصه مما يشوبه من فساد، وهي معركة متواصلة ما دام الإنسان تتنازعه قوى الخير والشر. إنها معركة «مع الضعف والشح والحرص في داخل النفس، ثم هي معركة مع الشر والباطل والضلال والطغيان في واقع الحياة»[2].

ولقد جاء الخطاب في الآية القرآنية إلى المؤمنين ألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى، ورسمت لهم الآية مشهدا غاية في الروعة والتأثير. فالمشهد يصور لنا المنفق لماله خاوي القلب من الإيمان، يملك قلبا صلدا، قاسيا شديد القسوة، قلبا صلدا صلادة حجر الصفوان نفسه. وما العمل الطيب في ظاهره والذي يضع غلالة رقيقة شفافة على القلب القاسي المتيبس، إلا تراب

[1] - سوورة البقرة 264.
[2] - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص4-5.

هش يكسو سطح هذا الحجر الصفوان الصلد الأملس الذي لا يكاد يُبقي شيئا عليه، ويخدع الرائي أن ما عليه من تراب صالح للزرع والإخصاب، وإنما هو في الحقيقة خداع بصري، كما أن إنفاق المرائي خداع قلبي. وفي التصوير الفني وفاء منقطع النظير، حيث أبرز هذا المعنى المعنوي الداخلي في مشهد حي تراه الحاسة وتدركه تماما[1].

إن خواء القلب سرعان ما يَبين ويظهر، وينكشف هذا المستور الذي حاول المتصدق أن يستره ويخدع به غيره، فهاهو المطر يتساقط غزيرا على الحجر الأملس، ويتلاشى التراب ويضيع، ويبدو في مجال الرؤية هذا الحجر الصلد في قساوته، وحجريته وجدبه كما ينكشف القلب فلا ثمر ولا جزاء ولا مثوبة.

ولقد عكست الألفاظ الدلالات المصاحبة، فكلمة "المن" كشفت نفسية المرائي وخداعه، فهو إنسان معتدٍ بذاته، مغرور بماله، حريص على كسب الصيت وعلو المنزلة، فكان المال هو وسيلته إلى تحقيق هذا المظهر الخارجي، إنه في النهاية يعتدُّ بإحسانه على من أحسن إليه، على سبيل التطاول. وجاءت الإضافة إلى الناس "رئاء الناس" لتوضيح هذه النفسية المرائية، فالصدقة المبذولة ليس الهدف منها الرغبة في رضى الله و إنما ثناء الناس وذكرهم له دائما بما ينفخ ذاته. ولعل الأصل الإشتقاقي في كلمة"رئاء" من الرؤية، ومن ثم تعكس حرص المرائي على أن يرى الناس ما يفعله ثم ننظر إلى دلالة لفظي (الصفوان - الصلد)، فالأولى تعني الحجر الأملس، والثانية تعني الحجارة الملساء التي لا تبقي ترابها على سطحها، فلا ينبت عليها شيء. فيشير المعنى اللفظي، بتصوير القلب في صلادته، والعمل في إحباطه. إن الصورة الحسية ترفدها الظلال الفنية، فثمة حركة هادرة تشمل وجهين من الصورة، صورة المنفق في حركته المتعالية الغُرور، وحركة المطر الشديد الذي يتساقط فيأخذ البصر، كما تأخذ حركة المرائي العين. ويتضاد مع الحركة بسكون قابع يتسم بالجمود والهمود والبلادة، في جوف المرائي قلب ينبض، ولكنه في الحقيقة جامد ساكن لخلوه من الإيمان، فهو معطل لا يتأثر بحركة الفعل، كما أن حجر الصفوان جامد هامد لا يتأثر بحركة المطر ولا يتشرب قطرة واحدة[2].

---

[1] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص46-47.

[2] - المرجع نفسه، ص47-48.

هذا السكون وتلك الحركة يصنعان محورا للصور الفنية، ثم لننظر إلى المشهد في صورته المحسوسة، إن الصوت يترامى ويعلو ويطوف بالمكان... إنه صوت زاعق صاخب كالطبل لا فائدة منه، وإنما يجذب الانتباه، والصوت المنبعث من المرائي، والصوت المنبعث من ارتطام الماء بصلادة الحجر يستدعي استخدام حاسة جديدة لاستيعابه وهي حاسة الرؤية البصرية، فالرؤية البصرية هدف للمرائي، ورؤية الحجر الأملس، هدف للتشبيه، رؤية تؤثر في النفس.

ثم انظر إلى تلون المباهاة بالمال، وإلى هذا اللمعان الذي يعكسه الحجر وقد غسل بالمطر، لتعرف كم هو خادع هذا المنظر في لونه وشكله الخارجي. إن التصوير الفني في هذا المشهد عكس المعنى تماما وجسمه، وتضافرت الألفاظ ودلالاتها وتآلفها المعنوي والصوتي، وطرفا التشبيه ومحوره، والحركة والصوت، والبصر وحاسته، واللون وخداعه، تضافر ذلك كله لتوضيح المشهد توضيحا كاملا، لإبراز المعنى المراد إبرازا تاما وعميقا، ولإعطاء ظلالا جماليا على المشهد[1].

التشخيص وأثره الجمالي في التعبير

من أبرز مجالات التصوير في القرآن الكريم ما يمكن تسميته "بالتشخيص" سواء كان ذلك في الوجدان والعواطف والمشاعر أم في الظواهر الطبيعية وغيرها. حيث إن هذا التصوير يحول المواد والظواهر والانفعالات إلى كائن بشري يموج بالعواطف والانفعالات النفسية، بحيث تبدو كما لو كانت «تشارك الآدميين وتأخذ منهم وتعطي وتبدي لهم في شتى الملابسات وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين، أو يتلبس به الحس، فيأنسون بهذا الوجود أو يرهبون، في توفر وحساسية وإرهاف»[2].

ولتوضيح هذا الجانب عمد الأداء القرآني إلى استخدام المجال الاستعاري وهو مجال مفضل في الأسلوب القرآني. يقول د. بكري شيخ أمين: «فالألفاظ المستعارة ألفاظ موحية، لأنها

[1] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص48.
[2] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص37.

أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المنظر للعين وتنقل الصورة للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا»[1].

والمجال الاستعاري المرتبط بالتشخيص يؤدي إلى الامتزاج الكامل في الصورة، حيث يأخذ التعبير أقطار الصورة في جوانبها المختلفة، ويصبح للخيال دوره الهام في إشباع الصورة، فالخيال إذن أحد أدوات التشخيص المهمة. وهو في المجال الأدبي عمل جوهري وأحد عناصر التجربة الفنية يلجأ إليها المبدع ليعبر به عن مكنون الذات حين تقف الألفاظ الوصفية عاجزة عن نقل التجربة. فالخيال أو التصوير مرده إلى قصور الألفاظ ومعانيها الحقيقية عن التعبير عما يشاهده الأديب في حياته النفسية الداخلية من مشاعر. فيتحول من مجاز إلى مجاز ومن استعارة إلى استعارة، وكأننا نقفز معه في سمائه من أفق إلى أفق، فنشعر بغير قليل من البهجة، أو قل كأننا معه في دار خياله تَعرض علينا صورا متتابعة ننفصل بها عن حياتنا الواقعية، فنسكن إليها ونحس بغير قليل من المتعة، إذ نشعر كأننا تخلصنا من أعباء الحياة وانزاحت عنا إلى حين[2].

ونمثل لذلك من القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ(154)﴾[3]. ولابد من سبب قوي يجعل الغضب في هذه الشدة وهذا العنف، بحيث يتملك موسى -عليه السلام- ويسيطر عليه. والسبب تُبيِّنه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ(152)﴾[4].

فالآية تتحدث عن بني إسرائيل وعن النعم التي أنعم الله بها عليهم ثم قابلوها بالجحود والعصيان، فارتدوا عن الإيمان بالله إلى اتخاذ العجل إلها ومعبودا، مما أثار في موسى انفعالا قويا، دفعه إلى رمي الألواح وهي كلمات ربه، لقد أفقده الغضب زمام نفسه. قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾[5]. لقد أخذ الغضب مأخذه من موسى وهو النبي، وهو القوي الجسم أيضا،

---

1 - بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص197.
2 - شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ط5، دار المعارف، مصر، د. ت، ص150.
3 - سورة الأعراف 154.
4 - سورة الأعراف 152.
5 - سورة الأعراف 150.

ولننظر إلى حركة الرمي الغاضبة المنفعلة، وإلى قبضه لرأس أخيه هارون في انفعال حاد لم يُطقه الرجل الطيب. وإلى لسان العقل الهادئ حين يبرر هارون لأخيه ما حدث. قال تعالى على لسان هارون: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[1].

إن الألفاظ تحمل دلالات الإثارة المتعطفة، وتحمل النداء الرقيق الذي يثير وشائج القربى. ومن ثم نأتي إلى الآية المرادة هنا: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ ، لنعرف مدى ملاءمتها للسياق. فسبب الغضب واضح، وهو سبب في حقيقته يؤدي إلى الاجتياح الانفعالي، ويقلب الحليم إلى قوة ضاربة. كما أن الآية وما سبقها تبين لنا شخصية موسى، عليه السلام، فهذا الانفعال جعله يقتل المصري، وجعله يطلب من الله أن يؤازره بهارون الهادئ البصير. ومن ثم جاء التصوير في الآية مجسدا لهذه الحالة الانفعالية. فالتعبير القرآني يشخص الغضب، ويجعله كائنا حيا ضاربا بكل شيء، ويحتاج كل شيء، ويرمي بكل شيء، تتطاير منه ألسنة الغضب فتطال الأشياء، والأشخاص والمكان. ولقد سكت الغضب، بعد أن كان شخصا جانحا يدفع موسى ويحثه على الانفعال وكأنما موسى مسير له[2].

يقول الزمخشري في دلالة التصوير بكلمة "سكت" وإشعاعاتها الجمالية التي لا يمكن أن تثيرها كلمة مرادفة لها وردت في بعض القراءات وهي مفردة "سكن". «الغضب كأنه يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا، وألق الألواح وجرّ برأس أخيك إليك. فترك النطق بذلك، وقطع الإغراء، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك. ولأنه من قبيل شُعب البلاغة. وأما قراءة: ولما سكن عن موسى الغضب، فالنفس لا تجد عندها شيئا من الهزة وطرفا من تلك الروعة»[3].

وهكذا تُجمِل الصورة تعبيرا فائقا عن هذا التسلط الانفعالي المشخص في إطار بشري هائج. حتى سكت عنه وتركه لشأنه، وخفف من تسلطه، عاد موسى إلى نفسه، والتقط الألواح وبدأ يواجه القوم. ليعيدهم إلى الطريق الحق، ويزيل ضلالهم، وشقاءهم الروحي.

---

[1] - سورة الأعراف 150.
[2] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص72.
[3] - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص72.

ولاشك أن المجال الاستعاري هنا أعطى للغضب وظيفة جديدة لم تكن معروفة له، وأنشأ علاقات بين الانفعال والإنسان، ووضح التشخيص عبر الخيال فجعل الإحساس خصبا والفكر متجددا، والصورة حية.

جماليات الأداء التصويري في آيات الكون

هذا مجال تعبيري برز فيه التصوير البياني بروزا واضحا في تنوعاته الجمالية. فالقرآن حافل بآيات الله الكونية وبمشاهد الطبيعة على تنوعها بما يلفت الذهن ويثير الحس، فيربي في النفس البشرية ملكة الإدراك والتأمل في مظاهر الجمال في الكون. والجمالُ من أبرز القيم التي تتسرب إلى أغوار النفوس فتهزها هزا. فلقد حرص القرآن الكريم على سلخ النفس من عاداتها الرتيبة وإيقاظها من غفوتها الباردة، لتتفتح على عالم مترع بالجمال والجلال[1].

والقرآن يدعو الإنسان إلى أن تتفتح بصيرته على آيات الله الكونية، ويستشعر من ورائها يد القدرة الخلاقة المبدعة، في أسلوب يأخذ بمجامع النفس ويوقظها من إلفها وعادتها. «إن أسلوبه الساحر، وجوّه المشرق، وروحه الصافية، لتنقل الإنسان نقلا من إلفه وعاداته، وتهزه ليستيقظ، تلمس - برفق- أعصابه المكشوفة، فتعطيه الشحنة كاملة ينقلها إلى مركز الحس بكامل تدفقها. ومن ثم يعيش الأشياء كأنها تحدث لأول مرة ويستمتع بسحر هذه الجدّة ومتاعها العجيب»[2]، والأداء التصويري في القرآن يتناول آيات الكون في حركة مليئة بالحياة -جمادها وكائنها- في تنوع مصاحب من لون وصوت، وحركة وظلال.

ومن قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ(37)﴾[3]. وقال أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا(45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا(46) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا(47)﴾[4]. وقال أيضا: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ

[1] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص112.
[2] - محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط8، دار الشروق، بيروت، 1413هـ 1993م، ص144-145.
[3] - سورة يس 37.
[4] - سورة الفرقان 45-47.

وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ(67) ﴾ [1].

يحفل القرآن الكريم بمشاهد الليل والنهار، وفي كل مشهد ظلال من التصوير يضاف إلى غيره من المشاهد الأخرى، فنحن في آية "يس" أمام الليل في قدومه الحثيث، والنهار أمامه يتلاشى شيئا فشيئا، حتى يختفي، ثم تتبدى الظلمة غاشية. وتتوالى إلى الحركة الخفية المتجادلة بين الليل والنهار، يوما وراء يوم، وهي مع تكرارها عجيبة تدعو إلى التأمل والتدبر [2].

والتعبير القرآني فريد في نوعه، فقد عبر القرآن عن انفصال الليل والنهار بمفردة "نسلخ"، والسلخ حركة فيها حدة وفيها تمهل حذر، وتحتاج إلى حركة تتميز بالطاقة وبذل الجهد. وبعد هذه الحركة الحذرة الدءوب في فصل الأشياء المتلابسة، كتلبس الجلد باللحم، مثلا، إذا بالمفاجأة تتجلى وينحسر الضوء وتعم الظلمة. حركة مرسومة في إطار لوني متمازج سرعان ما يتشكل ويتحدد بُعده، فتبدو الظلمة قادمة طاغية، والضوء منحسر مودّع[3].

تلك لحظة الغروب الجميلة التي تصور نهاية حركة الجدل بين الليل والنهار. ما أجمل التعبير القرآني وهو يصور النهار متلبسا بالليل. ثم ينزع الله النهار من الليل، فإذا الظلام طاغ.

وفي آيات "الفرقان"، تظهر لنا صورة جميلة مركبة من ظلال لونية، مضفرة بحركة متوالية، وانظر إلى حركة الظل البطيئة التي تبدو في بطئها كما لو كانت سكونا قائما، فالتعبير بكلمة "ساكنا" يجسم لنا هذه الحركة البطيئة، ويعطيها مساحة في الخيال لم يكن ليكتسبها لو جاء الوصف في أسلوب تجريدي خال من التصوير والتخييل[4]. إن مشهد الظل والضوء يرسم لنا لوحة على الأرض. «يمر به الناس غافلين، وفي تأمله وتتبع حركته الوئيدة التي تكاد تتم في الخيال -وإن كانت معروضة في العيان- ما يلمس النفس، ويؤثر في الوجدان ويتيح الفرصة لألوان شتى من التأملات. ذلك منظر الظل الذي تلقيه الأجرام فيبدو ساكنا وهو يتحرك ببطء لطيف»[5].

---

[1] - سورة يونس 67.
[2] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص118.
[3] - المرجع نفسه، ص118-119.
[4] - المرجع نفسه، ص119.
[5] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص69.

وتُظهر تلك الحركة، القدرةَ الإلهية في الفعل كله "ثم قبضناه إلينا .." فهذه العبارة القرآنية تعطي للمشهد غنى عميقا ومعنى إلهيا رحيما، وروحا جديدة. فالعبارة «تُخرج اللوحة من نطاق الأرض المحدود الذي كانت فيه، فإذا فيها أمر آخر غير هذه الأرض، إنها يد الله سبحانه تمتد لتقبض الظل، إن الظل المتجسم هنا في الأرض لم يعد كائنا أرضيا، ولكنه صار شيئا غيبيا، مبدؤه في الأرض ونهايته عند الله»[1].

وللسيد قطب ربط بديع بين هذا المعنى والسياق القرآني في سور القرآن فيقول: «إن هذا القرآن الذي يتنزل على قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كان هو البلسم المريح، والظل الظليل، والروح المحيي في هجير الكفر والجحود والعصيان. وإن الظل -وبخاصة في هجير الصحراء المحرق- لهو المشهد الذي يتناسق مع روح السورة كلها وما فيها من أنداء وظلال»[2]. وتتحرك صورة الظلال المرفرفة الممتدة المتطاولة فتتداخل في مساحة الليل المعتم، هذا الليل الذي صورته الآية في صورة بديعة. والذي ستر الكون كله وفرش عليه عباءته المعتمة -كما يستر الثوب البدن- فبدا الكون كأنما يلبس ثوبا أسود مطرزا بخيوط بيضاء مبثوثة من علٍ. وفي الليل تهدأ الحركة وينقطع الصخب ويهجع الكون إنسانه وحيوانه وهوامه. في نوم خبا فيه الحس وخَفَتَ فيه الشعور بالوعي. كأن الكون مقبور في سبات عميق. ثم تتوالى الحركة في الزمن فتظهر في المكان حين ينسحب الليل وينفض عن الكون لباسه الليلي، ليتنفس الصباح فجرا جديدا فيه ألق الحياة وحيويتها، مؤذنا بنهار جديد يمتلئ بالنور والحركة والحياة. وكأنما ثمة نشور وبعث من موت صغير. ومن ثم عكست المفردات "لتسكنوا" و"مبصرا"، نوع الحركة في كل من الليل والنهار. فالليل يسكن الناس فيه، ويهدأون، والنهار الذي فيه يبصرون. وهما ظاهرتان متصلتان بحياة البشر، ذلك أن فطرتهم الداخلية تفهم عن هذا الكون لغته الخفية[3].

---

[1] - محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص150.
[2] - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2569.
[3] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص120-121.

التصوير الجمالي في مشاهد القيامة

لقد عني القرآن الكريم بمشاهد القيامة عناية أخذت جانبا كبيرا من السور القرآنية، حيث البعث والحساب، والنعيم والعذاب، والرد على إنكار المنكرين، في نسق تعبيري مصور يحيل الأمر الذهني إلى مشهد حي متحرك.

ولقد وردت مشاهد القيامة في إطار سردي بالغ الدقة في الوصف والتصوير، وهي تجسد المستقبل المغيّب في نسق مصور، نحس فيه ونحن نقرأ أو نتلقى بالصورة والحركة والإيقاع والحياة المتلاطمة، وتعنى هذه المشاهد بتصوير الهول في ذلك اليوم. وهو هول شامل لا يفوت منه شيء، الكون كله بما فيه ومن فيه.

ومشاهد القيامة في القرآن كلها مسوقة لأداء الغرض الديني، ذلك الغرض الأول للقرآن. ولكنها تتصل بالوجدان الديني عن طريق الوجدان الفني[1].

ولنأخذ نموذجا من مشاهد يوم القيامة، نموذجا لمشهد تتحرك فيه جزئياته شخوصا حية، ما بين طبيعة ساكنة صامتة، وبين حيوان أعجم، وبين إنسان واع مدرك.

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(1)وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ(2)وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ(3)وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ(4)وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ(5)وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ(6)وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ(7)وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8)بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ(9)وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ(10)وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ(11)وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ(12)وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ(13)عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ(14)﴾[2].

الآيات الكريمة تتحدث عن يوم القيامة، وما يصحبه من تحول رهيب يمس مفردات الشمس حتى الإنسان. ولعلنا نلاحظ أن ثمة إيقاعا يشمل الآيات ممثلا في الحركة العنيفة التي تجتاح كل شيء، وتثير كل شيء، فتطمس الأنوار، وتتلاشى الثوابت، وتتفجر البحار بالنار. ويحل الروع محل الأمن، والصخب المرعب محل السكون، وتعتري الإنسان حالة من الخوف تهز القلب وتنفضه. فلا ملاذ فيه إلا رحمة الله. إنه انقلاب كوني. مشهود، مصوغ في ثراء

[1] - سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، د. ط، دار الشروق، لبنان، د. ت، ص41.
[2] - سورة التكوير 1-14.

دلالي، وإعجاز تعبيري، وإيجاز موقع إيقاع، وصور ظلال ومشاهد، تتناغم لتصور هذا الانقلاب يوم القيامة.

وفي تلك الحركة الجارفة والثورة الشاملة ينكشف المستور، ويتهيأ الموقف لبيان الجزاء والعقاب، الجنة أو النار. والملاحظ على الآيات الإيقاع السريع في متواليات المشهد. فالشمس ينحسر ضوءها، وتطوى حرارتها، وتلف كما تلف العمامة ... ومنظومة النجوم البهية في توازنها، تتساقط وتتناثر.. والضوء ينسحب منها ويتلاشى. ويشيع الظلام.. فلا ضوء من الشمس ولا نور من النجوم.. ولا ثبات لشيء.. والجبال الرواسي تتحرك من أماكنها حركة عنيفة وتتطاير في الهواء كالهباء.. فالهول قابض على الكون، والانفجار طال كل شيء.. حتى النوق العشار الساكنة التي هي عند أصحابها كالكنز لا يفرط فيه، تركت بلا راع ولا طالب.. لقد أضحت لا قيمة لها، وكيف يهتم الناس، والكل مشغول بنفسه!.. وهاهي الوحوش الكاسرة هالها الرعب والهول فحشرت وانزوت، نسيت فرائسها، ومضت هائمة لا تأوي إلى جحر، فلقد نسيت في ظلال الهول خصائصها المتوحشة وسعت إلى ملاذ.. والبحار هاجت وماجت وتفجرت مياهها نارا... فإذا الإدراك البشري يعجز عن تصور هذه البحار المسجورة، وهاهي النفوس تتجمع كتجمع الوحوش رغبة في الملاذ، الزلزال عنيف، والرجفة شاملة... وانضمت كل جماعة إلى رباط متشابه... والموءودة التي هانت على الناس في الجاهلية فدفنوها حية، خوف العار والفقر... الموءودة التي قتلت في صمت دون ذنب أو جريرة، تُبعث لتسأل، أي ذنب ارتكبت حتى قتلت: تسأل عمن وأدها، ولا مجيب، وكيف يجيب القتلة! وهم في شغل بأنفسهم وبالهول حولهم! إنه سؤال فيه توبيخ للقتلة[1].

ثم يتجلى المستور والمجهول، فإذا الصحف تنشر بعد طيّها، تعلن عن المستور وتفضحه فيصبح أنكى وأشد على النفس. وهو نشر يتساوق مع حركة التحول الكونية، وهو لون من ألوان الهول النفسي... فلقد جاء وقت الحساب.

والسماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة. السماء التي كانت حجابا وستارا كشطت فلا ستر ولا خفاء، وظهر المجهول في الآفاق.

[1] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص135-136.

والجحيم امتلأت بالوقود واشتعلت فيها النيران وتأججت باللهب... فتحت أرجاءها لتلقف ما وُعدت به من وقود، الناس والحجارة... والجنة تتبدى شيئا فشيئا في جمال وروعة وفتنة. وتظهر للموعودين بها. إنها تدنو مهيأة مداخلها، لتستقبل المستأنسين بها والمنعمين بما فيها... في هذا اليوم تعلم كل نفس مالها وما عليها[1].

«هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود، والثورة الشاملة لكل موجود، الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية، والوحوش النافرة والأنعام الأليفة، ونفوس البشر.. حيث ينكشف كل مستور، ويعلم كل مجهول، وتقف كل نفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب وكل شيء من حولها عاصف...» [2].

إن المشهد تصوير حي ليوم القيامة، مرسوم في لوحة موقعة بالحركة، والصوت واللون والظلال، فالحركة عنيفة تطيح بكل شيء... إن إيقاع الحركة في تعدد درجاتها ملمح جمالي تضمن المشهد كله. ويأتي الصوت مصاحبا للحركة، فثمة انفجار صاخب يرعد، يملأ الآفاق ويصك المسامع. ويندلع اللون ليجسد حركة الأشياء في المكان، فثمة نيران ملتهبة، وثمة ظلام دامس وانطماس لضوء الشمس ونور الكواكب. وتأخذ الجنة والنار حيزا في مساحة اللون، الجنة بجمالها وظلالها وبخيراتها... والنار تتميز غضبا بنيرانها الحارقة وظلال الدخان، وزفيرها المتأجج.. وأسفل اللوحة، توجد النفوس مبثوثة، هائمة مذهولة، في انتظار الحساب، ثم يتجلى الحق، والحق يتجلى في مفردات اللوحة. نلاحظ ذلك من دلالة الفعل المبني للمجهول حيث يفيد إسناد الفاعلية لله تعالى... ويترقرق على مساحة اللوحة إيقاعات الفواصل في نغم منساب يعكس الحالة ويصور التغير والانفعال[3].

إذ الفواصل كما يرى الرافعي «صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما

[1] - محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص136-137.
[2] - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص 3837.
[3] - محمد قطب عبد العال، المرجع السابق، ص137 بتصرف.

ليس وراءه في العجب مذهب... وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة وأثرها طبيعي في كل نفس...»[1]

ومن ثم تكرار التاء مصاحبا لصوت الجملة، ومناسبا للحركة الكامنة، وهو حرف قوي يستتبع صوتا صفيريا يغلف الإيقاع كله.

استنتـــاج

ما يمكن ملاحظته مما سبق في هذا المبحث، أن التعبير القرآني استعمل الصور البيانية كأداة أساسية لتصوير المظاهر الطبيعية، والأحاسيس والمشاعر الإنسانية، ومشاهد يوم القيامة.. وإخراجها أحسن إخراج، وتحريك جمادها خير تحريك، فتصبح الصورة ذات ظل ولون وصوت، وبعبارة أوجز: ذات حياة. فينقلنا هذا التصوير البديع من مجرد قارئ أو سامع إلى جزء من أجزاء الصورة وركن من أركانها، ومجال من مجالات فضائها، فيضفي -أي هذا التصوير- جمالا ما بعده جمال، وفنا ما بعده فن.

ولابأس من ذكر أمثلة أخرى على ما نقول، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)﴾[2].

فقد رسم لهم بهذا التشبيه صورة دقيقة، إنهم يأكلون ويتمتعون غافلين عن الجزاء الذي ينتظرهم، كما تأكل الأنعام وتمرح، غافلة عن شفرة القصاب، أو غافلة عما سوى الطعام والشراب[3].

ومثال آخر، قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[4].

وفي هذا التعبير ألوان من التناسق الظاهر والمضمر، ومن لطف الكناية عن ملابسات دقيقة، وأدق ما فيه هو ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال

---

[1] - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ص216-217.
[2] - سورة محمد 12.
[3] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص91.
[4] - سورة البقرة 223.

الخاص. وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، وذلك النبت الذي يخرجه الزوج، وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح، وكل هذه الصور تنطوي تحت استعارة في بضع كلمات[1].

وإلى نموذج آخر فيه تصوير بديع بالاستعارة، في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[2]. والصدع هو الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما.

وتأويل الصدع في الزجاج أن يَبين بعضه من بعض. فقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ(43)﴾[3]. قال الزجّاج: معناه، يتفرقون فيصيرون فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير. وعليه فإن الصدع يعني الإبانة والتمييز.. فالله تعالى يأمر محمدا - صلى الله عليه وسلم- في هذه الآية: إجهر يارسول الله بما أمرك الله به من الشرائع المنزلة عليك في كتابه العظيم، أو فرّق في رسالتك بين الهدى والضلال، وميّز بها الحق من الباطل...[4]. فمقصود الآية: إنهاء عهد الدعوة السرية والجهر بالدعوة إلى الله، غير أن الجهر بالدعوة سيفرق بين الحق والباطل فتهتدي قلوب بعد ضلالها، وآثار ذلك أن يتفرق جميع المشركين بدعوة الرسول إلى توحيد الله والاعتصام برسالته، وتتمزق جماعتهم تمزق الزجاج بالصدع، وهذا ما حصل بالفعل حتى تميز القريب عن قريبه والأخ عن أخيه والوالد عن ولده.. فالتعبير عن ذلك كله بهذه الاستعارة في ثلاث كلمات "فاصدع بما تؤمر" لهو أبلغ تعبير تصويري ممكن، وهو في رتبته من الجمال والجلال يثير الدهشة ويودي بنبوغ الإنسان الأدبي في غياهب العجز والقصور[5].

---

[1] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص91.
[2] - سورة الحجر 94.
[3] - سورة الروم 43
[4] - حسن ضياء الدين عتر، بينات المعجزة الخالدة، ط1، دار النصر، حلب، سوريا، 1395هـ، 1975م، ص294 بتصرف.
[5] - المرجع نفسه، ص296.

الفصل الثاني:

التصوير البياني في سورة الشعراء

* المبحث الأول: التعريف بالسورة
* المبحث الثاني: التشبيه في سورة الشعراء
* المبحث الثالث: المجاز في سورة الشعراء
* المبحث الرابع: الكناية في سورة الشعراء
* المبحث الخامس: التعريض في سورة الشعراء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

التصوير البياني في سورة الشعراء

* المبحث الأول: التعريف بالسورة
* المبحث الثاني: التشبيه في سورة الشعراء
* المبحث الثالث: المجاز في سورة الشعراء
* المبحث الرابع: الكناية في سورة الشعراء
* المبحث الخامس: التعريض في سورة الشعراء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: التعريف بالسورة

1- التسمية:

قال المهايمي: «سميت هذه السورة بها -أي الشعراء- لاختصاصها بتمييز الرسل عن الشعراء، لأن الشاعر إن كان كاذبا فهو رئيس الغواة لا يُتصور منه الهداية، وإن كان صادقا لا يُتصور منه الافتراء على الله تعالى، وهذا من أعظم مقاصد القرآن»[1].

اشتهرت عند السلف بسورة الشعراء لأنها تفردت من بين سور القرآن بذكر كلمة الشعراء. وكذلك جاءت تسميتها في كتب السنة. وتسمى أيضا سورة طسم[2].

ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة[3].

وهي السورة السابعة والأربعون في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل[4].

وأما في المصحف فهي السادسة والعشرون، من حيث ترتيب سوره.

2- مكية أو مدنية:

سورة الشعراء مكية، قيل جميعها مكي، وهو المروي عن ابن الزبير. ورواية عن ابن عباس ونسبه ابن عطية إلى الجمهور. وروي عن ابن عباس أن قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم

---

[1] - محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي، المسمى: محاسن التأويل، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1398هـ 1978م، ج13، ص4.

[2] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص89.

[3] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص172.

[4] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص90.

الغاوون» إلى آخر السورة نزلت بالمدينة لذكر شعراء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حسان بن ثابت وابن رواحة وكعب بن مالك، وهم المعنيون بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية.

وعن مقاتل: أن قوله تعالى: «أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل». نزل بالمدينة، وكان الذي دعاه إلى ذلك أن مخالطة علماء بني إسرائيل كانت بعد الهجرة[1].

ويوقن صاحب تفسير (التحرير والتنوير) بأن السورة كلها مكية، فيقول: «مثل هذه الحجة لا تتوقف على وقوع مخالطة علماء بني إسرائيل، فقد ذكر القرآن مثل هذه الحجة في آيات نزلت بمكة، من ذلك قوله: قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب. في سورة الرعد وهي مكية، وقوله: والذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، في سورة القصص وهي مكية، وقوله: وكذلك أنزلنا إليك الكتاب بالحق فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به، في سورة العنكبوت وهي مكية. وشأن علماء بني إسرائيل مشهور بمكة. وكان لأهل مكة صلات مع اليهود بالمدينة، ومراجعة بينهم في شأن بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم- كما تقدم عند قوله تعالى: ويسألونك عن الروح، في سورة الإسراء»[2].

وقد جعل أهل المدينة وأهل مكة وأهل البصرة عدد آيها مائتين وستا وعشرين، وجعله أهل الشام وأهل الكوفة مائتين وسبعا وعشرين[3].

3- فضلها:

وأخرج القرطبي في تفسيره عن البراء أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:«إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المائين مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل، ماقرأهن نبي قبلي»[4].

---

[1] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص89-90.
[2] - المرجع نفسه، ج19، ص90. وانظر تفسير هذه الآية "ويسألونك عن الروح.." الآية 85.
[3] - المرجع نفسه، ج19، ص90.
[4] - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير "تفسير الشوكاني"، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ 2001م، م2، ص322.

وعن ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطيت السورة التي تُذكر فيها البقرة من الذكر الأول و أعطيت طه وطسم من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة»[1].

4- مناسبتها لما قبلها و ما بعدها:

أ- مناسبتها لما قبلها:

نعلم أن سورة الشعراء تأتي بعد سورة الفرقان من حيث ترتيب المصحف، و هذه الأخيرة سورة مكية مثل الشعراء، فإن بينهما تناسقا وتناسبا لما يجمعانه من موضوعات عقدية وما جاء من تكذيب للأنبياء والرسل، خاصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتكذيب ليوم البعث. وقال الإمام جعفر بن الزبير: لمّا عرّفت سورة الفرقان بشنيع مرتكب الكفرة المعاندين، و ختمت بما ذكر من الوعيد، كان ذلك مظنة لإشفاقه عليه الصلاة والسلام، وتأسفه على فوات إيمانهم، لِما جُبل عليه من الرحمة والإشفاق، فافتتحت السورة الأخرى -يقصد الشعراء- بتسليته عليه الصلاة و السلام، وأنه سبحانه لو شاء لأنزل عليهم آية تبهرهم وتذل جبابرتهم فقال سبحانه «لعلك باخع نفسك» الآيتين، وقد تكرر هذا المعنى عند إرادة تسليته عليه الصلاة والسلام كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾[2]، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾[3]، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[4]، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾[5]، ثم أعقب سبحانه بالتنبيه والتذكير[6].

ب- مناسبتها لما بعدها:

إن الذي يلي سورة الشعراء، سورة النمل ثم بعدها سورة القصص، وذلك من حيث النزول ومن حيث ترتيب المصحف، كذا رُوي عن ابن عباس وسعيد بن جبير[7].

---

[1] - القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، د ط، دار الإحياء العربي، بيروت، د ت، ج13، ص87.

[2] - سور الأنعام 35.

[3] - سورة السجدة 13.

[4] - سورة يونس 99.

[5] - سورة الأنعام 137.

[6] - البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ 1995م، ج5، ص345.

[7] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص215.

ولما ختم سورة الشعراء بتحقيق أمر القرآن، وأنه من عند الله، ونفي الشُّبه عنه وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة إلى السحر والأضغاث والافتراء والشعر، الناشئ كل ذلك عن أحوال الشياطين، وابتدأ هذه الإشارة إلى أنه من الكلام القديم المسموع المطهر عن وصمة تلحقه من شيء من ذلك، تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم مجموع لفظا ومعنى لا فصْم فيه ولا خلل، ولا وصم ولا زلل[1].

- الوحدة العضوية بين السور الثلاث: الشعراء، النمل، القصص:

كما أشرنا أن هذه السور الثلاث جاءت مرتبة مصحفا ونزولا، وهي نهاية المجموعة المبدوءة بـ"طه" فهي كلها مبدوءة بحرف "الطاء"، ثم لا يظهر حرف الطاء في فواتح سور القرآن مرة أخرى، وهي تشبه سورة طه. فقصة موسى ترد في السور الأربع، ومن مجيء سورة العنكبوت بعد هذه السور، وهي مبدوءة بـ "ألم" نشعر بأن هذه السور الثلاث هي نهاية قِسم المِائَيْن، ونلاحظ أن بداية السور الثلاث متشابهة ليست فقط في الأحرف بل في الافتتاح كذلك.

فسورة الشعراء بدايتها: ﴿طسم(1)تِلْكَ ءايات الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2)﴾.

وسورة النمل بدايتها: ﴿طس تِلْكَ ءايات الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ(1)﴾.

وسورة القصص بدايتها: ﴿طسم(1)تِلْكَ ءايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2)﴾.

فكأن السور الثلاث تصب في بحر واحد، وتتحدث عن محور واحد. وعندما نبحث عن محور لهذه السور الثلاث بعد محور سورة الفرقان يناسب المقدمة. ويتفق مع مضمون هذه السور- فإننا نجده في سورة البقرة بعد قصة طالوت، في آخر آية من الجزء الثاني[2]، وهي ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(252)﴾[3].

---

[1] - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص405-406.
[2] - سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1409هـ 1989م، م7، ص3897.
[3] - سورة البقرة 252.

5- محاور السورة:

بما أن السورة مكية فهي لا تخرج عن نطاق محور السور المكية جميعا، ممثلة في العقيدة، ملخصة في عناصرها الأساسية:

- توحيد الله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾[1].
- الخوف من الآخرة: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ(87)يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89)﴾[2].
- التصديق بالوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(194)﴾[3].
- ثم التخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين، وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[4]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ(227)﴾[5]. ذلك إلى تسلية الرسول - صلى الله عليه وسلم- وتعزيته عن تكذيب المشركين له وللقرآن: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(3)﴾[6]. وإلى طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين، كما ثبت من قبلهم من المؤمنين[7].

ويغلب على السورة الجانب القصصي الذي يشغل مائة وثمانين آية من مجموع آيات السورة كلها. والسورة هي هذا القصص مع مقدمة وتعقيب. والقصص والمقدمة والتعقيب تؤلف وحدة متكاملة متجانسة، تعبر عن موضوع السورة وتبرزها في أساليب متنوعة[8].

---

[1] - سورة الشعراء 213.
[2] - سورة الشعراء 87-89.
[3] - سورة الشعراء، 192-194.
[4] - سورة الشعراء، 6.
[5] - سورة الشعراء، ص227.
[6] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2583.
[7] - المرجع نفسه، م5، ج19، ص2583.
[8] - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط4، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402هـ 1981م، م2، ص373.

فقد ابتدأت السورة الكريمة بموضوع القرآن العظيم الذي أنزله الله هداية للخلق، وبلسما شافيا لأمراض الإنسانية، وذكرت موقف المشركين منه، فقد كذبوا به مع وضوح آياته وسطوع براهينه، وطلبوا معجزة أخرى غير القرآن الكريم عنادا واستكبارا.

ثم تحدثت السورة عن طائفة من الرسل الكرام، الذين بعثهم الله لهداية البشرية[1]، وعددهم سبعة بدءًا بموسى وختاما بشعيب عليهما السلام.

وبعد أن تابعت السورة في ذكر قصص الأنبياء، (نوح، وهود، وصالح، ولوط وشعيب) عليهم الصلاة والسلام، وبينت سنة الله في معاملة المكذبين لرسله، عادت بالتنويه بشأن الكتاب العزيز، تفخيما لشأنه، وبيانا لمصدره ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(195)﴾[2].

ثم ختمت السورة بالرد على افتراء المشركين، في زعمهم أن القرآن من تنزّل الشياطين، ليتناسق البدء مع الختام في أروع تناسق والتئام![3].

والملاحظ أن محور السورة هو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(252)﴾[4]، وهذا خيط رفيع يمتد من سورة البقرة إلى سورة الشعراء إلى سورة النمل، فسورة القصص. وإن كان لكل سورة خصائصها الخاصة، ومواصفاتها الخاصة وطريقتها الخاصة، وأسلوبها الخاص وجرسها الخاص ومعانيها الخاصة[5].

بدأت السورة بقوله تعالى ﴿طسم(1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2)﴾[6] ثم تأتي مقدمة تختم بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(7) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ(8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(9)﴾[7]. ثم تأتي قصة موسى عليه السلام وتختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

1 - الصابوني، صفوة التفاسير، م2، ص373.
2 - سورة الشعراء 192-195.
3 - المرجع السابق، م2، ص373.
4 - سورة البقرة 252.
5 - سعيد حوى، الأساس في التفسير، م7، ص3898.
6 - سورة الشعراء 1-2.
7 - سورة الشعراء 7-9.

فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(67)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(68) ﴾[1]. ثم تأتي قصة إبراهيم عليه السلام وتختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(103)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(104) ﴾[2]. ثم تأتي قصة نوح عليه السلام وتختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(121)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(122) ﴾[3]. ثم تأتي قصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب عليهم السلام، وكل منها تختم بنفس الآيتين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ( )وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ( ) ﴾. ثم تأتي خاتمة السورة وهي مبدوءة بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(194)بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(195)وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ(196)أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ(197)..﴾[4]. وفي أواخر السورة نجد: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ(210)وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ(211)..﴾[5].

فأنت ترى أن للسورة من أولها إلى آخرها صلة بقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(252) ﴾[6]. إن صلة السورة بهذه الآية واضحة، ومن ثم لم نتكلف إذ قلنا إن هذه الآية هي محور السورة[7].

وعند قصة كل رسول في السورة نجد أن لازمة تتكرر، هذه اللازمة هي قول كل رسول لقومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ إن هذه الآية تتكرر في قصة كل رسول، إما مرة أو مرتين، ما عدا قصة موسى عليه السلام[8]، وقصة إبراهيم عليه السلام مما يدل على أن التقوى والطاعة هدفان بُعِث من أجلهما كل رسول. ومن أبرز المواضيع التي عمقتها السورة موضوع التقوى

---

1 - سورة الشعراء 67-68.
2 - سورة الشعراء 103-104.
3 - سورة الشعراء 121-122.
4 - سورة الشعراء 192-197.
5 - سورة الشعراء 210-211.
6 - سورة البقرة 252.
7 - سعيد حوى، الأساس في التفسير، م7، ص3901-3902.
8 - المرجع نفسه، م7، ص3902.

والطاعة، إن التقوى هي المطلب الرئيسي من كل مسلم، فالتقوى هي تكليف من الإسلام بحسب طاقته، والطاعة هي رمز التحامه مع الجماعة[1].

أيضا قد عرضت السورة للآداب العليا للمرسلين في الدعوة وأساليبها، وعرضت الأخلاق العليا للرسول من توحيد، لإنذار، لخفض جناح، لتوكل على الله[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - سعيد حوى، الأساس في التفسير، م7، ص3902 وَ ص3974.
[2] - المرجع نفسه، م7، ص3974.

المبحث الثاني: التشبيه في سورة الشعراء

جاء في التعريف: التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفيْن ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب[1].

وعرفه ابن رشيق بأنه: «صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه»[2].

والتشبيه ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وله منزلة سامية، وما ذلك إلا لأنه يدني البعيد، ويجلو الغامض، وتكتسي به المعاني بهاء وروعة، وهو من أهم وسائل البيان والخيال عند العرب، إذ كان يعبر بصدق عن بيئتهم الصحراوية. وعندما أشرقت شمس الإسلام، كان لتشبيهات القرآن الأثر البالغ في كلام العرب، لاسيما شعراؤهم، حيث أبدعت هذه الصور التشبيهية في تصوير المعنى، إذ إن القارئ للقرآن لا يشعر بأنها جاءت لتفخيم الأحداث أو تزيين الكلام وتنميقه، كما هو الشأن في كثير من الشعر، وإنما جاءت لتضيف الكثير إلى التعبير وتغدو جزءا منه.

وحسب دراستي لسورة الشعراء ألفيتها تحتوي على تشبيهين اثنين أحدهما مرسل وثانيهما بليغ.

أولا: التشبيه المرسل

●● في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ

---

[1] - العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، ت. مفيد قميحة، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1404هـ 1984م، ص261.

[2] - ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة "في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، ت. عبد الحميد هنداوي، د. ط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1424هـ 2004م، ج1، ص252.

الْعَظِيمِ(63) ﴾[1].

فانفلق:

- الفلق: هو الشق[2]، يقال فلقه يفلِقه فلقًا، وفلقه فانفلق وتفلق بمعنى واحد، أي شقه، فالله يفلِق الحبّ فينفلق عن نباته[3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(95) ﴾[4].

لا أريد أن أذهب بعيدا في معاني هذه اللفظة واشتقاقاتها لأن ذلك ليس موضوع بحثنا.

فِـرْقٌ:

الفِرق من الشيء إذا انفلق منه[5].

وأصل الفَرق: الأصل ومنه فَرقَ الشَّعر، والفُرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، أي يفصل. والفِرق -بكسر الفاء- القِسم من كل شيء إذا انفرق[6].

الطـود:

الطود: الجبل العظيم[7].

بعد ذكر الله سبحانه وتعالى سوء حال المشركين، وشدة عنادهم، شرع بسرد حلقات من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذلك بقصد تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم- وليعلم أن الهدى والضلال حقائق متتابعة في تاريخ البشرية، وبأنه ليس الأول من الرسل من عارضه قومه وكذبوه، فما من رسول بعثه الله لدين الحق إلا وجد من قومه عنادا واستكبارا ومواجهة عنيفة،

---

[1] - . سورة الشعراء 63.
[2] - ابن منظور، لسان العرب، م5، مادة (ف.ل.ق)، ص157.
[3] - الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، ت. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1408هـ 1988م، ج5، مادة (ف.ل.ق)، ص165.
[4] - سورة الأنعام 95.
[5] - ابن منظور، المصدر السابق، م5، ص120.
[6] - ابن ناقيا، أبو القاسم عبد الله بن محمد، الجمان في تشبيهات القرآن، ت. محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، محرم 1423هـ أفريل 2002م، ص136.
[7] - ابن منظور، المصدر السابق، م4، ص203.

ولكنهم هم المنتصرون دائما، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(51)﴾[1].

فالغرض الأول من سرد القصص «هو أن تزيح عن كاهل النبي - صلى الله عليه وسلم- بعض الأثقال، وأن تزيل عن نفسه الألم»[2]، وتعليما له على الاستمرار في الدعوة، وفي تحمل الأذى، كما تحمّله من قبله الرسل، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(120)﴾[3]. وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ(34)﴾[4].

ابتدأ الله بسرد قصة موسى عليه السلام لما تضمنته دعوته من المواقف والعبر المماثلة بين ما يواجهه النبي - صلى الله عليه وسلم- من صعوبات مع الكفار، قومه وعشيرته، فقد عبؤوا جميع قواهم المادية والأدبية للطعن في رسالته، وحاولوا بكل الوسائل محاصرة دعوته، كما فعل فرعون مع موسى وبني إسرائيل، فنعته بالجنون مثلما فعل كفار العرب للنبي صلى الله عليه وسلم. وكما كان النصر على فرعون حليف موسى في عاقبة أمره، سيكون النصر حليف الرسول - صلى الله عليه وسلم- وصحبه في نهاية عمره[5].

ومما يلاحظ أن قصة موسى هي أشد القصص تكرارا في القرآن، وإذا كُرر شيء منها جاء بشيء جديد في تكرارها يخدم السياق الذي عُرض فيه، فمرة تُعرَض القصة كاملة من أولها كما في سورة القصص، ومرة تعرض من وسطها كما في سورة الأعراف، ومرة تعرض من آخرها كما في سورة المائدة، أو إشارات سريعة كما في بعض سور القرآن "الأعلى" و"الفجر"[6]، أما في سورة الشعراء فقد ابتدأت من مشهد الرسالة إلى مشهد الخروج من مصر.

وقد احتوت هذه الحلقة سبعة مشاهد: أولها مشهد النداء والبعثة والوحي والمناجاة بين موسى وربه. وثانيها مشهد مواجهة موسى لفرعون وملئه لرسالته، وآيتي العصا واليد البيضاء.

---

[1] - سورة غافر 51.
[2] - محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م، ص211.
[3] - سورة هود 120.
[4] - سورة الأنعام 34.
[5] - محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1405هـ 1985م، ج4، ص373.
[6] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص156-157.

وثالثها مشهد التآمر وجمع السحرة وحشد الناس للمباراة الكبرى. ورابعها مشهد السحرة في حضرة فرعون يطمئنون على الأجر والجزاء. وخامسها مشهد المباراة ذاته وإيمان السحرة وتهديد فرعون ووعيده. وسادسها إيحاء الله لموسى أن يسري بعباده ليلا ... وإرسال فرعون في المدائن حاشرين ... لملاحقة بني إسرائيل. وسابعها مشهد المواجهة أمام البحر ونهايته من انفلاق البحر وغرق الظالمين ونجاة المؤمنين[1].

وهذه الآية تمثل المشهد السابع والأخير من هذه الحلقة، فبعد أن انتصر موسى على السحرة نصرا جعلهم يخرون ساجدين لله تعالى، وبعد أن مكث موسى في مصر يدعو فرعون وقومه إلى عبادة الله وحده، لم يزيدوا إلا نكرانا وظلما وفسادا، وبعد كل ذلك البلاء على بني إسرائيل، أوحى الله إلى عبده موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا باتجاه البحر[*]. وبتدبير منه - سبحانه وتعالى- تبعهم فرعون وجنوده، وهاهي ذي الحلقة تقترب من نهايتها... فلما اقترب الجمعان حيث رأى كل منهما الآخر، أصاب بني إسرائيل حيرة وقلق، فالبحر أمامهم والعدو خلفهم ولا مفر منهم ولا معين عليهم.. «ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة... وفي اللحظة الأخيرة ينشق الشعاع المنير في ليل اليأس والكرب... ووقعت المعجزة وانكشف بين فرقي البحر الماء. ووقف الماء على جانبي الطريق كالطود العظيم...»[2].

«وفي هذا الحذف إشارة إلى سرعة امتثاله عليه السلام وإنما أمَره عليه السلام بالضرب فضرب»[3]، وصار فيه اثنا عشر طريقا على عدد أسباط بني إسرائيل، وقام الماء على جانبيه كالحيطان أو كالجبل الشامخ في السماء... وصار لموسى وأصحابه طريقا في البحر يبسا، وقد حكى الله تعالى هذا في سورة طه ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى(77)﴾[4]، وعبر أصحاب موسى، ووقف فرعون وجنوده مدهوشين لهذا المشهد

---

[1] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2588.

[*] - اتفق معظم المفسرين على أنه النيل أو القلزم.

[2] - سيد قطب، المرجع السابق، م5، ج19، ص2599.

[3] - الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت. محمود شكري الألوسي، د. ط، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د. ت، م7، ج19، ص86.

[4] - سورة طه 77.

العجيب الخارق للعادة، واقتحموا وراءهم في ذلك الطريق، فانصب الماء عليهم فغرق فرعون وجنوده، وبقيت قصتهم آية في الزمن، ولكن أكثرهم لم يؤمنوا[1].

بعد شرح الآية الكريمة، فلنتأمل هذه الصورة التشبيهية التي اشتملت عليها، فقد شبّه الله أمواج البحر بالجبال، ولم يكتف القرآن بهذا التشبيه بل وصفه بالعظيم، للدقة في تصوير وارتفاع الأمواج وثبوتها، كما ورد في مواضع أخرى من القرآن، «في صفة موج البحر بالعظم والارتفاع، تشبيه آخر، وهو قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾[2]، لأن موج البحر يعظم فيصير كالظلل في ارتفاعه وتغطية ما تحته[3]. فذُكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه على سبيل التشبيه المرسل.

فقد شبه الله أمواج البحر بالظلل في سورة لقمان، في حين شبهها في سورة الشعراء بالطود العظيم. والسر في ذلك -والله أعلم- أن سياق الآية في سورة لقمان ينقل لنا مثالا عن القوم الذين اضطرب بهم البحر، فأصبحت سفينتهم كريشة في مهب الريح، فهم في موقف خوف وفزع، وقد تعالت الأمواج من فوقهم وغطتهم كما يغطي الظل ما تحته، وكلمة "الظلل" فيها إيحاء إلى اللون الأسود الذي لا بصيص معه إلى أمل، «فهو لون الليل والحزن، ولون الإبادة، ورمز الموت وعالم الأموات... كما يعني الظلام والعمق والشيء المجهول»[4].

أما تشبيه الأمواج بـ"الطود" في سورة الشعراء، فإن السياق مختلف، إذ كما عرفنا أن أصحاب موسى يبحثون عن ملاذ آمن يقيهم شر فرعون وجنوده، فكان التعبير بالطود، رمزا إلى الأمان. فبعد الغرق هاهي اليابسة متجلية في أعظم صورها وأصلب مظاهرها وهي "الطود" أي الجبل العظيم، الشامخ، الصلب الذي لا يتزعزع. فالنفس البشرية عندما تكون في أحلك ظروفها، وفي أعسر حالاتها، فإنها تمسك بكل ما تجده حولها، فكيف إذا كان الذي حولها صلبا قويا متمثلا في رسوخ الجبل!.

---

[1] - قصة موسى معروضة في جل التفاسير، وبتفاصيل أدق، انظر: تفسير ابن كثير، ج5، ص186. وتفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، ت. أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، ط3، دار الكتاب العربي، مصر، 1387هـ 1967م، م7، ج5، ص107.

[2] - سورة لقمان 32.

[3] - ابن ناقيا، الجمان في تشبيهات القرآن، ص138.

[4] - وحيد صبحي كبابة، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس "دراسة"، د. ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م، ص96.

وأول ما يسترعي النظر، أن الله عز وجل استخدم كلمتين زادتا من روعة هذا التشبيه وجماليته وهما: "انفلق" و"الطود"، فلو استبدلنا كلمة "انفلق" بأي كلمة أخرى لاختل معنى الآية، لو وضعنا مثلا لفظ "انشق" لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن، «لأن قوة الانفلاق أشد من قوة الانشقاق»[1].

وأما سر اختيار الكلمة الثانية "الطود" دون سائر الألفاظ الأخرى هو «أن من خصائص التشبيه في القرآن أنه يستمد عناصره من الطبيعة، وذلك هو سر خلوده، فهو باق ما بقيت الطبيعة»[2]، وهذا ما نجده في كل تشبيهات القرآن. وإذا تأملنا هذا التشبيه الذي جعل الصورة متحركة، خُيل إلينا أننا نرى هذه الصورة الغيبية التي انقضت منذ قرون طويلة، وكأنها جاثمة أمام أعيننا الآن.

ثانيا: التشبيه البليغ

●● قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ(173)﴾[3].

وأمطرنا:

- المطر في الأصل هو الماء المنسكب من السحاب، ومَطَر: فعله، والمطّرَة: الواحدة، ويوم مَطير: ماطر، وواد مَطير: ممطور[4].

الآن يعرض القرآن الكريم حلقة جديدة من حلقات القصص، وهي حلقة قصة سيدنا لوط عليه السلام، ابن أخ إبراهيم عليه السلام، فقد كانت بعثته في زمن واحد وبعثة سيد الأنبياء إبراهيم «ولا تختلف قصة لوط مع قومه، عن قصة كل نبي سبقه... إنه يدعو باسم ربه إلى خير وإلى هدى...، وإذا كان هناك اختلاف بين قوم وقوم، فهو في نوع الداء المتمكن منهم ... والداء المتمكن في قوم لوط إلى جانب الكفر بالله، هو هذا المنكر الذي كانوا يعيشون فيه، ويأتونه

[1] - الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ت. علي محمود مقلد، د. ط، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1986م، ص64.
[2] - أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ط3، مكتبة نهضة مصر، د. ت، ص196.
[3] - سورة الشعراء 173.
[4] - الفراهيدي، العين، ج7، مادة (م.ط.ر)، ص426.

جهرة من غير حياء، أو خجل»[1]، وكانوا في ذلك أول من سن هذه السنة السيئة، وقد حكى الله ذلك في قوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ(80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(81)﴾[2].

«وهو انحراف في الفطرة شنيع، فقد بَرَأ الله الذكر والأنثى، وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النسل، الذي يتم باجتماع الذكر والأنثى»[3].

وهذه الآية الكريمة تمثل المشهد الأخير من حلقة سيدنا لوط عليه السلام، «فلما نهاهم عن ارتكاب الفواحش، وغشيانهم الذكور، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم»[4]. كان جوابهم له كما حكاه القرآن في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(56)﴾[5]، فلما رأى سيدنا لوط إصرارهم على ضلالتهم، تبرأ منهم ودعا الله عليهم، فأنجاه الله إلا امرأته كانت من الهالكين، لأنها كانت امرأة سوء تعمل عمل قوم لوط، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم.

وقد تعددت روايات المفسرين حول نوعية العذاب الذي أنزل على قوم لوط. فذهب الزمخشري أن الله سبحانه وتعالى أمطر عليهم حجارة من السماء قد عُجنت بالكبريت والنار[6]، وهي مبينة في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(74)﴾[7].

وذهب سيد قطب إلى أن قراهم خسفت وغطاها الماء، ومنها قرية سدوم، ويُظن أنها ثاوية تحت البحر الميت في الأردن... فهو يغمر مدنًا كانت آهلة بالسكان[8].

---

1 - عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، د. ط، دار الفكر العربي، د. م، د. ت، م5، ج19، ص150.
2 - سورة الأعراف 80-81.
3 - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2613.
4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص201.
5 - سورة النمل 56.
6 - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص126.
7 - سورة الحجر 74.
8 - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2614.

وروى محمد علي طه الدرة أنه نزل جبريل -عليه السلام- فأدخل جناحيه تحت مدائن قوم لوط، فاقتلعها ورفعها إلى السماء، ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا بالحجارة على من كان خارجا من القرى التي قلبها جبريل[1].

وأما صاحب التحرير والتنوير، فيرى أن ما أصابهم من الحجارة تسمى مطرا لأنه نزل عليهم من الجو، وقيل هو من مقذوفات براكين في بلادهم أثارتها زلازل الخسف[2].

ففي هذه الآية تشبيه بليغ حيث شُبهت الحجارة التي أهلك الله بها قوم لوط بالمطر الذي ينزل من السماء. وفي فعل "مطر" و"أمطر" فرق، إذ أن "مطر" لأجل الخير أما "أمطر" فلأجل الشر والعذاب، وهذا من خصوصيات مفردات القرآن، فقد اجتمع المشبَّه "الحجارة" والمشبه به "المطر" في عدم الانتفاع والهلاك. وقد جاء هذا التشبيه البليغ -بحذف الأداة ووجه الشبه- مجانسا وملائما لشدة العذاب الذي أنزله الله على قوم لوط، وتشبيه العذاب بالمطر، لأن المطر يصيب كل شيء باعتباره ينسكب من الأعلى إلى الأسفل، فإنه لا مناص من هذا العذاب إلا من عصمه الله برحمته. ففي ذلك تصوير دقيق في إيصال المشهد حيا، وكأنه ماثل أمامنا، وكما أشرنا سابقا فإن تشبيهات القرآن لا تكاد تخرج عن الظواهر الطبيعية التي هي باقية ما بقيت السموات والأرض. كما نلمس من هذا التشبيه تحذيرا لكل إنسان انحرف عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، إذ إن أدوات العذاب قائمة، أمام مرأى ومسمع الخلائق. ومن جانب آخر فإن هذا العذاب الذي أصاب قوم لوط، يصور لنا مدى الرعب والهول الذي أصابهم بمباغتتهم سقوط الحجارة كوابل من المطر، فكانت ظاهرة غريبة لهم، وفي ذلك موعظة بليغة لأولي الألباب.

ولعل هذا ما جعل اللفظة القرآنية تحمل دلالات جمالية، تتميز عن كلام البشر، لأن من المعروف بديهيا، ومن الراسخ في ثقافة البشر أن المطر يكون خيرا بنزوله، لكن هذه المرة جاء التعبير القرآني على غير العادة بأن حوى المطر حجارة، وهذا مكمن سر الإعجاز القرآني، وبلاغة نصه مبنًى ومعنى ودلالة.

[1] - محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم "إعرابه وبيانه"، ط1، دار الحكمة سوريا، 1409هـ- 1988م، م10، ج19، ص214.

[2] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص 181.

المبحث الثالث: المجاز في سورة الشعراء

جاء في تعريف المجاز أنه «كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في موضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة ما تُجُوّز بها إليها وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها»[1].

وعُرّف أيضا بـ «أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب»[2].

يعد المجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إلى إيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع، لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، فزينوا به خطبهم وأشعارهم... ولما نزل القرآن بهرهم ببلاغته وفصاحته، حتى إن بلغاءهم وفصحاءهم عجزوا عن الإتيان بشيء من مثله...

وتعد سورة الشعراء واحدة من سور القرآن التي ورد فيها المجاز بنوعيه: المجاز اللغوي، والمجاز العقلي.

أولا: المجاز اللغوي

أ/ الاستعارة:

تعددت الاستعارات في سورة الشعراء من استعارة تصريحية، واستعارة مكنية، واستعارة تمثيلية.

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة "في علم البيان"، صححه وعلق على حواشيه محمد رشيد رضا، د. ط، دار ابن تيمية، القاهرة، د. ت، ص252.

[2] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص232.

1- الاستعارة التصريحية:

•• قال الله تعالى: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(118)﴾[1].

فافتـح:

الفتح ضد الإغلاق، فتحه يفتحه وافتتحه وفتّحه فانفتح وتفتّح، فهو مفتوح[2].

فلقد جاء الفتح بمعنى النصر[3].

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ(1)﴾[4].

كما في قوله أيضا: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ(52)﴾[5].

ثم استعير اللفظ للغنى والمطر، فقيل: فُتح على فلان إذا جُدّ وأقبلت عليه الدنيا، وفتّح الله عليهم فتوحا كثيرة إذا مَطَرهم أمطارا.

وقيل الفتح: هو القضاء[6]. قال ابن عباس: «ما كنت أدري ما معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(89)﴾[7] حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال حتى أفاتحك، يعني أقاضيك[8].

والفتّاح: هو الحاكم، وهو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، «وهو يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه الحاكم بين الخلق... فالله تعالى ميز بين الحق والباطل، وأوضح الحق وبينه، ودحض الباطل وأبطله.

---

[1] - سورة الشعراء 118.
[2] - الفراهيدي، العين، ج3، مادة (ف.ت.ح)، ص194.
[3] - الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، ت. أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، لبنان، 1404هـ 1984م، ج1، مادة (ف.ت.ح)، ص389.
[4] - سورة النصر 1.
[5] - سورة المائدة 52.
[6] - الزمخشري، أساس البلاغة، ت. عبد الرحيم محمود، د. ط، دار المعرفة، د. ت، مادة (ف.ت.ح)، ص332.
[7] - سورة الأعراف 89.
[8] - محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم "إعرابه وبيانه"، م10، ج19، ص188.

الثاني: أنه الذي يفتح أبواب الخير على عباده، ويسهل عليهم ما كان صعبا، ثم تارة يكون هذا الفتح في أمور الدين والعلم، وأخرى في أمور الدنيا فيغني فقيرا، وينصر مظلوما»[1].

هذه حلقة ثالثة من سلسلة القصص، احتوت قصة رسالة سيدنا نوح -عليه السلام- لقومه، فقد مكث سيدنا نوح عهدا طويلا في نصح قومه وتذكيرهم بآيات الله ودعوتهم إلى دين الحق، ولكن لم يزدهم ذلك إلا عتوا واستكبارا، فلم يضعف، ولم يدع اليأس يسلك سبيلا إلى قلبه، بل استمر في تبليغ رسالته، فمكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ولم يؤمن برسالته إلا قليل منهم[2]، وقد حكى القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(14) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ(15)﴾[3].

والعبرة من عرض هذه القصة، هو ذلك التماثل بين ما قاله قوم نوح -عليه السلام- عن أتباعه، وما قاله كفار العرب عن المؤمنين على ما تفيده آيات عديدة، قال تعالى على لسان نوح: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ(114)﴾[4]، وقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ(52)﴾[5].

فلما طال مقام نبي الله نوح -عليه السلام- بين أظهرهم يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده ليلا ونهارا، سرا وجهارا، وبعد مضي سنين وقرون طويلة... يئس -عليه السلام- من إيمان قومه، وبعد أن سمع منهم ما يدل على رسوخهم في الكفر والضلال[6]، وهددوه بالرجم والتعذيب ... نفذ صبره، وفزع إلى ربه شاكيا، و﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ(117)﴾[7]، «وليس الغرض منه إخبار الله تعالى بالتكذيب لعلمه أن عالِم الغيب أعلم»[8]، ولكنه ليطلب الإنصاف،

---

1 - فخر الدين الرازي، ضياء الدين عمر، شرح أسماء الله الحسنى، ت. طه عبد الرؤوف سعد، د. ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1396هـ 1976م، ص228.

2 - انظر: مصطفى المراغي، أحمد، تفسير المراغي، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج19، ص81. ومحمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، ج4، ص389.

3 - سورة العنكبوت 14-15.

4 - سورة الشعراء 114.

5 - سورة الأنعام 52.

6 - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص194.

7 - سورة الشعراء 117.

8 - فخر الدين الرازي، تفسير الكبير، ط1، دار الفكر، لبنان، 1401هـ 1981م، م12، ج24، ص155.

ويرد الأمر إلى صاحب الأمر. وعند ذلك دعا عليهم بدعوة استجاب الله له فيها: ﴿وَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(118)﴾[1]، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا(26)﴾[2]، وقال أيضا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ(10)﴾[3]. فأنجى الله تعالى نوحا ومن اتبعه، وأغرق من كفر به وخالف أمره.

«وهذه استعارة والمراد بها -والله أعلم- فاحكم بيننا وبينهم حكما قاطعا وأمرا فاصلا، كفتح الباب المبهم بعدما استصعب رتاجه وأعضل علاجه، ويقال للحاكم: الفتاح، لأنه يفتح وجه الأمر بعد اشتباهه واستبهام أبوابه»[4]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ(26)﴾[5].

حيث شبه الحاكم والقاضي بالفتاح، وشبه الحكم وفصل الإشكال بين الخصوم بالفتح، بجامع إزالة المبهم من الأمور المستعصية، ثم تأوسي التشبيه، ودخل المشبه تحت جنس المشبه به مبالغة، فاستعير الفاتح بمعنى الحاكم، وأطلق لفظ الفتح بمعنى الحكم، على سبيل الاستعارة التصريحية.

ونشعر أن التعبير باستعارة كلمة "الفتح" -التي بمعنى القضاء- له وظيفة في سياق الاية الكريمة، وهي الإشعار بمدى ما كان يعتري سيدنا نوحا -عليه السلام- من ألم ويأس، وكأنما الأبواب انغلقت في وجهه لما وصل إليه قومه من الصدود الشديد، والإعراض الذي لا حد له عن عبادة الله وحده. هذا ما جعله يسأل ربه حكما فاصلا بينه وبين القوم الفاسقين، «وهذه هي المفردة القرآنية، فقد تكون عادية ولكنها إذا قرئت في القرآن، وجدنا لها تأثيرا فريدا لا نعرفه في حدودها الطبيعية المتعارف عليها»[6].

---

[1] - سورة الشعراء 118.
[2] - سورة نوح 26.
[3] - سورة القمر 10.
[4] - الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص215.
[5] - سورة سبأ 26.
[6] - أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، ط1، دار المكتبي، سوريا، 1415هـ 1994م، ص283.

2- الاستعارة المكنية:

وجدت من خلال دراستي أن سورة الشعراء حوت صورتين للاستعارة المكنية، وذلك في الآية الثالثة عشر، والآية الخامسة عشر بعد المائتين.

●● قال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ(13)﴾[1].

يضيق:

الضّيق: نقيض السعة، وأصله يكون في الذي يتسع ويضيق كالدار والثوب، ولكنه استعمل أيضا في ما ضاق عنه الصدر والقلب.

فالضّيق: جمع الضّيِّقة والضَّيْقة، وهي الفقر وسوء الحال»[2].

قال الأعشى:

فلئن ربك من رحمته كشف الضَّيْقة عنا وفسح[3]

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(25)﴾[4].

وقال سبحانه أيضا: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ(70)﴾[5].

ينطلق:

تدل مادة "ط.ل.ق" في اللغة العربية على عدة معان يمكن إرجاعها في النهاية إلى معنى أساسي واحد:

---

[1] - سورة الشعراء 13.
[2] - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، مادة (ض.ي.ق)، ص1510.
[3] - الأعشى الكبير، "ميمون بن قيس"، الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ 1987م، ص40.
[4] - سورة التوبة 25.
[5] - سورة النمل 70.

الطلق: وجع الولادة.

ويقال رجل طلق الوجه، وطلق اليدين: أي سمحهما[1].

قال عنترة:

فعجبت منها حين زلت عينها عن ماجد طلق اليدين شمردل[2].

ورجل طلق اللسان: أي فصيح الكلام، ويقال يومٌ طلقٌ وليلةٌ طلقٌ أيضا، إذا لم يكن فيها قرّ، ولا شيء يؤذي[3].

الطالق: طلِقت المرأة وطُلّقت، فهي طالق وهن طوالق[4].

والانطلاق: هو الذهاب[5].

قال تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(23)﴾[6]

وبعد عرض المعاني المشتقة من المادة، يتضح لنا أن المعنى الأساسي الذي تفرعت عنه المعاني الأخرى هو التخلية والإرسال.

هذا هو المشهد الأول من حلقة قصة كليم الله موسى عليه السلام، وهو مشهد النداء والبعثة والتكليف بالرسالة لموسى إلى فرعون وملئه الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وظلموا معهم بني إسرائيل، واستعبدوا الضعفاء منهم، وأفرطوا في العدوان والظلم.

وهذا الأمر ليس بجديد على موسى -عليه السلام- فهو يعرف ظلم فرعون وعتوّه وجبروته، ويدرك بأنها مهمة ضخمة وتكليف عظيم، فشكا إلى ربه ضعفه وخوفه على الرسالة، فطلب إليه أن يعينه بأخيه هارون، فهو أفصح لسانا وأقوى بيانا... [7].

---

1 - الفراهيدي، العين، ج5، مادة (ط.ل.ق)، ص102.
2 - عنترة بن شداد، الديوان، د. ط، دار بيروت، بيروت، 1398هـ 1978م، ص59.
3 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، مادة (ط.ل.ق)، ص1517.
4 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ط.ل.ق)، ص283.
5 - ابن منظور، لسان العرب، ج4، مادة (ط.ل.ق)، ص2693.
6 - سورة القلم 23.
7 - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص 2589.

«وهذا الكلام منه -عليه السلام- لم يكن استعفاء من الرسالة بل هو تمهيد عذر في استدعاء من يعينه على إقامة الدعوة على أتم وجه»[1]. وهذا المعنى لم يذكر في السورة، وقد صرح به في سورة طه: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي(29)﴾[2]. وفي سورة القصص: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ(34)﴾[3].

وقد رتب -عليه السلام- استدعاء ضم أخيه إليه في تبليغ الرسالة على أمور ثلاثة: خوف التكذيب، وضيق القلب، وامتناع انطلاق اللسان، «فالتكذيب سبب لضيق القلب، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة، لأن عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية إلى باطن القلب، وإذا انقبضا إلى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة في اللسان، فالتأذي من التكذيب سبب لضيق القلب، وضيق القلب سبب للحبسة. فلهذا السبب بدأ بخوف التكذيب، ثم ثنى بضيق الصدر، ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان»[4].

ففي هذه الآية الكريمة أراد موسى -عليه السلام- أن يجسد معنى الغضب والكمد الذي يعتريه إذا كذب به فرعون، فصوّر صدره وما ينتابه من جزع ينشأ عن انضغاط الأعصاب في القلب، فيحس بشبه امتلاء في الصدر، بمكان صغير وقد ملأت كل جوانبه، ثم تناسى التشبيه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الضيق على سبيل الاستعارة المكنية. وأراد موسى -عليه السلام- أن يجسد فصاحة اللسان وبيانه في الكلام، فتصور لسانه طائرا حرا في السماء، ولكنه تناسى ذلك، وأومأ إليه بإحدى خصائصه وهي الانطلاق والذهاب على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذه الاستعارة من أبدع الاستعارات القرآنية «لأن النفس في الحقيقة لا توصف بالضيق والاتساع وإنما المراد بذلك انضغاط القلوب بشدة الكرب وبلوغها منقطع الصبر»[5].

---

1 - الألوسي، روح المعاني، م7، ج19، ص65.
2 - سورة طه 29.
3 - سورة القصص 34.
4 - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، م12، ج24، ص122.
5 - الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص93.

إنه في الحقيقة تصوير دقيق لما آلت إليه حال موسى عليه السلام، فلسان المؤمن يستمد قوته وحيويته من يقظة قلبه، ولكن هاهو القلب يضيق ذرعا بما لقيه، فأنى للسان أن ينطلق بحركة الكلام، وأي كلام!

●● قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(215)﴾[1].

اخفـض:

أخذت هذه اللفظة من "خ.ف.ض"، وقد استعملت هذه المادة للدلالة على الدعة، واللين.

والخفض ضد الرفع[2].

قال تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾[3]، أي تضع قوما وترفع آخرين.

وخفض الطائر جناحه، يخفضه خفضا، ألان جانبه[4].

وفي القرآن الكريم تخصصت صيغة "فاعل" صفة لله عز اسمه، لأنه سبحانه وتعالى يخفض من يستحق الخفض من أعدائه، وقد يكون الخفض في الدين عن طريق الإضلال، أو في الدنيا بإسقاط الدرجات[5].

فهذه الآية من الأوامر الربانية التي أمر بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وورد في سبب نزول هذه الآية أنه لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(214)﴾[6]. شق ذلك على المؤمنين من غير عشيرته هذا التخصيص وخروجهم منه، فأنزل الله ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(215)﴾[7].

---

[1] - سورة الشعراء 215.
[2] - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، مادة (خ.ف.ض)، ص1074.
[3] - سورة الواقعة 3.
[4] - ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة)خ.ف.ض)، ص285.
[5] - أحمد مختار عمر، أسماء الله الحسنى "دراسة في البنية والدلالة"، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1417هـ 1997م، ص53.
[6] - سورة الشعراء 214.
[7] - السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، ط4، دار إحياء العلوم، بيروت، 1403هـ 1983م، ص164.

ولما أُمر الرسول - صلى الله عليه وسلم- بنذارة عشيرته، صعب عليه الأمر، ولكنه تلقاه بالحزم، وصنع أشياء مختلفة بحسب الأمر، فمن ذلك ما روى البخاري «أنه لما نزلت آية: وأنذر عشيرتك الأقربين، صعد النبي - صلى الله عليه وسلم- على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا ينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال: لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟!، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ(2)﴾»[1].

وأخرج الترمذي بإسناده عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(214)﴾، جمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قريشا فخص، وعم، فقال: يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا، يا معشر بني قُصي أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرا ولا نفعا، إن لكِ رحما وسأبلها ببلائها»[2].

وهكذا نفى الإسلام الوساطة والقرب في الأنساب بين الله وعباده حتى عن رسوله الكريم[3]. وفي هذه الآية إرشاد منه سبحانه وتعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم- إلى كيفية معاملته لأتباعه المؤمنين الذين آمنوا به حين كفر به أقاربه وأهله، واتبعوه وأيدوه وتحملوا في ذلك الأذى والعذاب، فكل هذا جعلهم جديرين برعاية الله تعالى ثم بعطف نبيه «وكذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مع المؤمنين طوال حياته، فقد كان خلقه القرآن، وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم»[4].

---

[1] - البخاري، عبد الله بن محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، د. ط، دار ومطابع الشعب، د. م، د. ت، كتاب التفسير، باب ما جاء في سورة الشعراء، ج6، ص140.

[2] - الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، صحيح سنن الترمذي باختصار السند، باب فضائل القرآن، ت. محمد نصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1408هـ 1988م، ج3، ص86.

[3] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2620.

[4] - المرجع نفسه، م5، ج19، ص 2620.

ولعل المتأمل في الآية يستنتج أن "خفض الجناح" كناية عن التواضع واللين، والرفق في صورة حسية مجسمة إذ من شأن الطائر حين يهبط أو حين يضم صغاره إليه أن يخفض جناحه، كما أن رفع الجناح يطلق على التكبر والتعالي[1]. وذهب محمد علي طه الدرة على «أنها استعارة مكنية، وهي ما حذف فيه المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، فقد استعير الطائر للذل، ثم حذفه ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح»[2].

والذي أميل إليه أنها استعارة مكنية وليست كناية، لأن هناك صلة بين جناح الطائر - بمعنى جانب الإنسان- والتواضع، إذ إن الطائر إذا أراد الدنو أو إذا تهيأ لحضن فراخه خفض جناحه، وإذا أراد الطيران رفعه. وبالمقابل فإن مظهر الغطرسة والتكبر عند الإنسان هو حين يشمخ أنفه ويرفع جانبه، ومظهر تواضعه حين يخفضهما، لذلك استعير الطائر للتواضع، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه خفوضه، وهو الجناح على سبيل الاستعارة المكنية.

فالنص القرآني يعتمد على التصوير بوصفه أداة فنية في تقريب المعاني الذهنية، وتجسيم الحالات النفسية.. ويستخدم كل أدوات التصوير من لون وحركة وتناسق ومساحة، وتوزيع للصورة على تلك المساحات بنسب معينة، ودقة متناهية. ووسيلته في ذلك هي اللغة، وما فيها من خصائص، ومرونة، ودلالات فنية[3]. وهذا ما لاحظناه في هذه الآية في رسمها لهذا الطائر، المنتمي لبيئة الإنسان في كل زمان ومكان، وقد تكرر ذكر الطير في القرآن في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[4]، وفي موضع آخر يحكي الله قصة ابني آدم عندما قتل أحدهما أخاه، فأرسل الله غرابا ليعلمه كيف يدفن أخاه[5]، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾[6]، كما ذكر القرآن

---

[1] - الطنطاوي، محمد السيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. ط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1405هـ 1985م، م10، ج19، ص78.

[2] - تفسير القرآن الكريم "إعرابه وبيانه"، م10، ج19، ص243.

[3] - عبد السلام أحمد الراغب، الدراسة الأدبية، النظرية والتطبيق "نصوص قرآنية"، ط1، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، حلب، سوريا، 1425هـ 2005م، ص169.

[4] - سورة الأنعام 38.

[5] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص542 وما بعدها.

[6] - سورة المائدة 31.

الطير التي كانت تقف محبوسة في السماء منصتة ومسبحة مع نبينا داوود -عله السلام- وهو يترنم بقراءة الزبور[1]، قال تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ(19)﴾[2].

والملاحظ في تصويرات القرآن يدرك أنها نابعة من البيئة، ومن ثم يكون حرص القرآن على أن تكون مدركات حواس الإنسان متناسقة مع تصويراته.

وجمال هذه الآية يتمثل في اختيار كلمة "الجناح" في هذا الموضع فهي توحي بما ينبغي أن يُظل الراعي رعيته من عطف وحنان، كما يظل الطائر فراخه، «وقد شاعت هذه الآية حتى صارت كالمثل في التواضع واللين في المعاملة»[3].

والآية نفسها وردت مثيلتها في سورة الحجر: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88)﴾[4]، إلا أن الآية التي في "الشعراء" زيد فيها "لمن اتبعك" ومقصود الآيتين واحد فللسائل أن يسأل عن وجه هذا التخصيص؟

والجواب عن ذلك: إنه لما لم يتقدم آية الحجر بتخصيص بمدعو بل تقدمها خطابه -عليه السلام- بالتأنيس والتسلية عمن أعرض والرفق بمن آمن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88)﴾[5]، لم يحتج هنا إلى زيادة. ولما تقدم آية "الشعراء" قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(214)﴾[6]، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على من يخاطب به، أتبع ذلك تعالى تلطفا وإنعاما على من آمن من عشيرته -عليه السلام- وغيره بقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(215)﴾، فقيل هنا: "لمن اتبعك" ليكون أنصّ في تعميم المؤمنين مطلقا من العشيرة وغيرهم، ولو قيل هنا "واخفض جناحك للمؤمنين" لما كان نصا في التعميم بل كان

---

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص51.
2 - سورة ص 19.
3 - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص83.
4 - سورة الحجر 88.
5 - سورة الحجر 88..
6 - سورة الشعراء 214.

يحتمل أن يراد به خصوص المؤمنين من عشيرته عليه السلام... ليرفع ذلك الاحتمال ولا يبقى العموم كما في الآية الأخرى[1].

3- الاستعارة التمثيلية:

جمعت سورة الشعراء صورتين للاستعارة التمثيلية وذلك في الآية الثالثة، وفي الآيتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين بعد المائتين.

●● قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(3)﴾[2].

باخـع:

بَخَع له بَخْعا، وبُخُوعا، وبَخَاعة: تذلل له وأطاع وأقر.

يقال: بَخَعْتُ له بخوعا، أي أقررت به على نفسي، وبخع بالطاعة، أي أذعن وانقاد وسلس[3].

ثم انتقلت اللفظة لتدل على قتل النفس غما وحزنا[4].

قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا(6)﴾[5].

ومن المجاز: بخعه الوجد إذا بلغ منه المجهود[6].

قال ذو الرمة:

ألا أيُّهذا الباخعُ الوجدُ نفسَه بشيء نَحَتْه عن يديه المقادر[7].

وبخع أرضه بالزراعة: نهكها ولم يرحها عاما[8].

---

[1] - أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، ملاك التأويل "القاطع بذوي الإلحاد والتأويل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل"، ت. سعيد الفلاح، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ 1983م، ج2، ص729-730.

[2] - سورة الشعراء 3.

[3] - الفراهيدي، العين، ج1، مادة (ب.خ.ع)، ص123.

[4] - ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ت. مصطفى السقا، وحسن نصار، ط1، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، د. م، 1377هـ 1958م، ج1، مادة (ب.خ.ع)، ص77.

[5] - سورة الكهف 6.

[6] - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ب.خ.ع)، ص16.

[7] - ذو الرمة، ديوان شعر ذو الرمة "عيلان بن عقبة"، شرح: زهير فتح الله، ط1، دار صادر، بيروت، 1955م، ص240.

[8] - ابن منظور، لسان العرب، ج1، مادة، (ب.خ.ع))، ص222.

والمرجح أن دلالة اللفظة متطورة من المعنى المادي، فلقد ذكر الزمخشري أن أصل اللفظة من بخع الذبيحة إذا بالغ في ذبحها، وهو أن يبلغ بالذبح النخاع، وهو الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة، ثم كثر حتى استعمل في كل مبالغة[1].

هذه الآية الثالثة بسبيل تسلية النبي صلى الله عليه وسلم، فقد خاطب سبحانه وتعالى رسوله بما يسليه عن تكذيب المشركين له، وبما يهون عليه أمرهم فيما يثير جحود قومه في نفسه من غم وحزن، وهم وكمد، وذلك بسبب المكائد التي كان يكيدها المشركون من أقوال وأفعال للنبي - صلى الله عليه وسلم- وللقرآن الكريم وللدعوة الإسلامية عامة.

وهذا يصور مدى معاناة الرسول - صلى الله عليه وسلم- من تكذيبهم، وهو يوقن بما ينتظرهم بعد التكذيب، فتذوب نفسه عليهم حسرات -وهم عشيرته وأهله- ويضيق صدره. «هذا الضغط النفسي (العاطفي)، لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزها إلى ما هو أبعد مدى وأنفذ أثرا حتى لترى النبي - صلى الله عليه وسلم- يدعو ربه وهو مغيظ محنق يكظم غيظه ويضغط عواطفه تلك التي أوشكت على الانفجار»[2]، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(48) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(49)﴾[3]، وهذا الخطاب الذي خاطبه به ربه هنا يماثل قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا(6)﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(12)﴾[5]، ويوضح مغزاه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(8)﴾[6].

وأسلوب هذه الآية ينطوي على الإشفاق والعطف، وذلك لاشتمالها على "لعل"، التي حقيقتها إنشاء الرجاء والتوقع، قال ابن عطية (ت 546 هـ): «خوطب بلعل على ما في نفوس

---

1 - الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ط1، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، د. ت، ج1، ص37.
2 - محمد أحمد خلف الله، القصص الفني في القرآن الكريم، ص209.
3 - سورة القلم 48-49.
4 - سورة الكهف 6.
5 - سورة هود 12.
6 - سورة فاطر 8.

البشر من توقع الهلاك في مثل تلك الحال»[1]. ويرى محمد علي طه الدرة أن لعل هنا للإشفاق والنهي، واستدل على قوله أن الفرق بين الترجي والإشفاق أن الأول في المحبوب، والثاني في المكروه[2].

«فربه يرأف به، وينهنهه عن هذا الهم القاتل، ويهون عليه أمره»[3]، وعرّفه أن غمه وحزنه لا نفع فيه، لأنه إن بالغ فيه كان بمنزلة من يقتل نفسه ثم لا ينفع بذلك أصلا، وإنما -عليه الصلاة والسلام- البلاغ، وعلى الله الحساب، وأنه لا يستطيع هداية أحد، ولكن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

«فقد شبه الله نبيه - صلى الله عليه وسلم-حين تولى عنه المشركون برجل فارقه أحبته، فهو يتساقط حسرات عليهم ويهلك نفسه وجدا عليهم، وتلهفا على فراقهم، ففي الكلام استعارة تمثيلية»[4].

وقد عبرت الآية عن حزن النبي - صلى الله عليه وسلم- باسم الفاعل "باخع"، واسم الفاعل ينطبق على الفاعل حال تلبسه بالفعل، وبذلك قوّى القرآن الصورة، فجعلها متحركة غير ساكنة، حية غير جامدة، من حيث إنه صوّر الأمر المعنوي في صورة الشيء الملموس، ليزيده تمكنا من النفس وتأثيرا فيها. وهذا من مميزات التصوير القرآني حيث كثر فيه «أخذ الكلمات الموضوعة للأمور الحسية، ليدل بها على معقول معنوي يصير به كأنه مرئي ملموس، فضلا عن إيحاءات الكلمة إلى النفس»[5].

●● قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224)أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225)﴾[6].

الغاوون:

مادة "غ.و.ي" في اللغة العربية تدل على معنيين:

---

[1] - ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت. عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ 1993م، ج4، ص225.

[2] - محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم "إعرابه وبيانه"، م10، ج19، ص90.

[3] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2584.

[4] - محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم "إعرابه وبيانه"، م10، ج19، ص90.

[5] - فتحي أحمد عامر، البلاغة بين الفن والتاريخ، د. ط، مكتبة المعارف، الإسكندرية، د. ت، ص324.

[6] - سورة الشعراء 224-225.

أولهما: الضلال[1].

قال دريد بن الصمة:

وما أنـا إلا من غُزَيّة إن غـوَتْ غويتُ وإن ترشُدْ غُزيّة أرشدِ[2]

ثانيهما: الفساد، مأخوذ من غَوِيَ الفصيل يَغْوَى غَوًّى، وهو أن يشرب لبن أمه حتى يتَّخم ويفسد جوفه[3].

وانتقلت اللفظة من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية:

فقيل رأس غاوٍ، أي كثير التلف[4].

ثم استعملت اللفظة للدلالة على كل شيء يؤدي إلى الضلال والفساد، فمن كلام العرب: إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي»[*][5].

وأطلق الغي في القرآن الكريم على واد في جهنم، أعده الله للغاوين الضالين عن طريق الحق[6].

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا(59)﴾[7].

يهيمون:

تدل مادة "هـ.ي.م" في اللغة العربية على الجنون من العشق، هام فلان بها، أي عشقها.

---

1 - الفراهيدي، العين، ج4، مادة (غ.و.ى)، ص456.
2 - الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، الأصمعيات، ت. أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، د. ط، دار المعارف، مصر، 1375هـ 1955م، ص112.
3 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، مادة (غ.و.ى)، ص2450.
4 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (غ.و.ى)، ص331.
* - الغاوي: الجراد، والهاوي: الذئب.
5 - ابن منظور، لسان العرب، ج5، مادة (غ.و.ى)، ص3321.
6 - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ت. محمد خليل عيتاني، ط1، دار المعرفة، لبنان، 1418هـ 1998م، ص369.
7 - سورة مريم 59.

ويقال: هامت الناقة تهيم، ذهبت على وجهها للرعي[1].

فالْهُيَام: داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى حتى تهلك[2]. وجملٌ أهْيَم، وناقة هيماء، والجمع فيهما هيم، قال تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ(55)﴾[3].

ثم استعيرت اللفظة للدلالة على جنون العشق[4]، فقالوا: هام على وجهه يهيم هَيَمَانًا: ذهب من العشق وغيره.

ومنه قول الأعشى:

فهو مشغوف بهند هائم يرعوي حينا، وأحيانا يحن[5]

ومنه فالْهَيْم: هو هيَمَان العاشق والشاعر في الصحراء[6]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225)﴾[7].

لقد كان كفار مكة يقولون عن القرآن إنه شعر، ويقولون عن النبي - صلى الله عليه وسلم- إنه شاعر ... فجاء القرآن يبين لهم في هذه الآية «أن منهج محمد - صلى الله عليه وسلم- ومنهج القرآن غير منهج الشعراء ومنهج الشعر أصلا»[8].

والمراد بالشعراء في هذه الآية هم شعراء الكفار خاصة منهم النضر بن الحارث، وهبيرة بن أبي وهب، وأبو عزة الجمحمي، وابن الزبعري، تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثلما يقول محمد، وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه يروون عنهم قولهم[9]، فأنزلت هذه الآية لتبين أن النبي - صلى

---

1 - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج4، مادة (هـ.ي.م)، ص281.
2 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، مادة (هـ.ي.م)، ص2063.
3 - سورة الواقعة 55.
4 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (هـ.ي.م)، ص490.
5 - الأعشى، الديوان، ص188.
6 - ابن منظور، لسان العرب، ح6، مادة (هـ.ي.م)، ص4740.
7 - سورة الشعراء 225.
8 - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2621.
9 - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص208.

الله عليه وسلم- ليس شاعرا، لا بالقول ولا بالفعل. قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ(5)﴾[1]، وقوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ(69)﴾[2]. ولكن هذه الآية ردت على الزعم الكاذب بأنه شاعر بتفصيل دقيق، وبيان أن حاله - صلى الله عليه وسلم- مناف لحال الشعراء من وجوه عديدة، «فالرسول - صلى الله عليه وسلم- لا يقول اليوم قولا وينقضه غدا، ولا يتبع أهواء وانفعالات متقلبة، إنما يصر على دعوته، ويثبت على عقيدة، ويدأب على منهج لا عوج فيه»[3]... والشعراء ليسوا كذلك، «فالشعراء في كل فن من فنون الكذب يخوضون، وفي كل شعب من شعاب الزور يتكلمون، فتارة يمزقون الأعراض بالهجاء، وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجه السمع ويستقبحه العقل، وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة، ويذمون الحق ويمدحون الباطل، ويرغبون في فعل المحرمات، ويدعون الناس إلى فعل المنكرات، كما تسمعه في أشعارهم من مدح الخمر والزنا واللواط»[4]، لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها، وأغلب ألفاظهم في الغزل الماجن والهجاء اللاذع... «ومن هنا جاء القول المشهور "أعذب الشعر أكذبه"، كاشفا عن الصفة الغالبة على الشعر، وهو الخيال والكذب الذي يلوّن الحقيقة»[5].

وفي هاتين الآيتين صورتان بيانيتان:

الأولى: ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224)﴾، فهي كناية عن تنزيه النبي - صلى الله عليه وسلم- أن يكون منهم، فإن أتباعه خيرة قومهم وليس فيهم أحد من الغاوين، فقد اشتملت هذه الجملة على تنزيه النبي - صلى الله عليه وسلم- وتنزيه أصحابه، وعلى ذم الشعراء وذم أتباعهم وتنزيه القرآن على أن يكون شعرا»[6].

الثانية: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225)﴾. «وهذا من باب الاستعارة البليغة والتمثيل الرائع، حيث شبه جولانهم في أفانين القول بطريق المدح والذم والتشبب وأنواع

---

[1] - سورة الأنبياء 5.
[2] - سورة يس 69.
[3] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص 2621.
[4] - أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1416هـ 1996م، ج9، ص428.
[5] - عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، م5، ج19، ص192.
[6] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص208.

الشعر، بهيام الهائم في كل وجه وطريق، والهائم هو الذي يخبط في طريقه ولا يقصد موضعا معينا»[1].

«فاستعار الأودية للفنون والأغراض من المعاني الشعرية التي يقصدونها، وإنما خص الأودية بالاستعارة ولم يستعر الطرق والمسالك أو ما جرى مجراها، لأن معاني الشعر تستخرج بالفكرة والرويّة، والفكرة والروية فيهما خفاء وغموض، فكان استعارة الأودية لها أشبه وأليق»[2].

واستعار الهيام لاضطراب قولهم في فنون الشعر من مدح وهجاء وغزل، وإنما خص الهيام بالاستعارة ولم يستعر يسيرون أو يترددون، لأن الهيام كما عرفنا هو الداء الذي يأخذ الإبل من العطش، فمثلت حال الشعراء بحال الإبل التي ترعى في الأودية إذا أقحلت الربى، فهي متحيرة ومترددة من أين تروي عطشها، كذلك الشعراء في حرصهم على مدح من يمدحونه رغبة في عطائه وإن كان لا يستحق المدح، وذم من يمنعهم وإن كان من أهل الفضل «حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحهم على حاتم»[3]. فكان استعارة الهيام لهم أشبه وأليق. فلعمري ما أشبههم بوسائل الإعلام في زماننا هذا إذ ترفع أذل القوم وتحط أشرفهم، بما تنفثه من دعايات وإشاعات رغبة في مكاسب ومصالح واهية!

إنه تصوير دقيق استلهم أدواته من البيئة الصحراوية، وإبلها، فهي صورة خالدة في ذهن كل عاقل متأمل، وهذا من خصائص التصوير القرآني.

وروي أنه لما نزلت ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ[224]﴾ جاء عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت فقالوا يارسول الله، والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء،

---

[1] - محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم "إعرابه وبيانه"، م10، ج19، ص251.
[2] - ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1380هـ 1960م، ج2، ص97.
[3] - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص138.

هُلكنا، فأنزل الله ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227) ﴾[1]، فدعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فتلاها عليهم»[2].

وقد وردت عدة أحاديث نبوية تجيز إنشاد الشعر، وأخرى تحرمه، فمنها ما روي عن أبي هريرة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيدٍ ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»[3].

وروي عن أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم- دخل مكة في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهَام عن مقيله ... ويُذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا ابن رواحة، بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم-وفي حرم الله تقول الشعر؟

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «خلِّ عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل»[4].

وأما ما روي عن ذم الشعر، قوله - صلى الله عليه وسلم-: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا، خير له من أن يمتلئ شعرا»[5].

والمهم فإن «الإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته، وإنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن. منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها، ومنهج الأحلام المهومة التي تشغل

---

1 - سورة الشعراء 227.
2 - السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص164.
3 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ج8، ص43.
4 - الترمذي، صحيح سنن الترمذي، باب ما جاء في إنشاد الشعر، ج2، ص37.
5 - البخاري، صحيح البخاري، باب ما يكون الغالب على الإنسان الشعر، ج8، ص45.

أصحابها عن تحقيقها»[1]. ونذكر ما ذكره القرطبي «الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام، يعني أن الشعر ليس يكره لذاته وإنما يكره لمضمناته»[2].

ب/ المجاز المرسل:

جاءت علاقات المجاز المرسل في سورة الشعراء متضمنة لأنواع ثلاثة:

1- العلاقة الآلية:

●● قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(84)﴾[3].

مضت حلقة سيدنا موسى -عليه السلام- مع فرعون وملئه، وانتهت بتلك النهاية، نجاة المؤمنين ودمار الظالمين. ثم أردفها بحلقة خليل الرحمن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- «ليعلم أن حزنه لكفران قومه كان أشد، وآلامه كانت أمضى، فهو كان يرى أن أباه وقومه صائرون إلى النار، وهو ليس بمستطيع إنقاذهم، وقد أكثر حجاجهم... ولم يُجد ذلك فيهم شيئا، بل ركنوا إلى التقليد بما ورثوه عن الآباء والأجداد، وقد أبان لهم أثناء حجاجه أن أصنامهم لا تغني عنهم شيئا...، ثم ذكر لهم صفات الرب الذي ينبغي أن يُعبد وفصلها أتم تفصيل»[4].

ويؤمر الرسول - صلى الله عليه وسلم- أن يتلو هذه القصة على المشركين، لأنهم كانوا يتخذون لهم أصناما يعكفون عليها، ويقيمون طقوسهم عندها، وقد كان فريق من العرب يعتقدون أنهم يمتّون بالنبوة إلى إبراهيم عليه السلام، فذكرهم بعقيدة التوحيد والإخلاص التي كان يدين بها جدهم[5]. وجعل اعتماده في كل شأن ومطلب في حياته أو مماته على الله تعالى، وان الدين الذي تدعوهم إليه الآن هو الإسلام الذي كان يدين به سيدنا إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(128)﴾[6].

---

[1] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2622.
[2] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م7، ج13، ص151.
[3] - سورة الشعراء 84.
[4] - المراغي، تفسير المراغي، ج19، ص70.
[5] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص 2600.
[6] - سورة البقرة 127-128.

ولما ذكر إبراهيم -عليه السلام- نعم ربه المستمرة المتتالية عليه منذ خلقه إلى يوم بعثه، أخذ في مناجاة ربه ودعائه، فالتفت من الغيبة إلى الخطاب ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(83)وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(84)﴾[1]. «والدعاء كله ليس فيه طلب لعرض من أعراض هذه الأرض ولا حتى صحة البدن، إنه دعاء يتجه إلى آفاق أعلى، تحركه مشاعر أصفى. ودعاء القلب الذي عرف الله فأصبح يحتقر ما عداه»[2]، وبعدما طلب من ربه أن يهب له علما نافعا يوفقه إلى العمل الصالح الذي يلحقه بالصالحين، دعا الله بدعاء رخي مديد "واجعل لي لسان صدق في الآخرين"، هذه الدعوة التي «تدفعه إليها الرغبة في الامتداد، لا بالنسب ولكن بالعقيدة»[3].

ولقد انقسم المفسرون في تفسير هذه الآية قسمين:

أحدهما: ما ذهب إليه ابن عطية والطبرسي، أنه طلب -عليه السلام- من الله أن يجعل له جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين، لذلك لا نرى أمة من الأمم إلا وهي محبة له مثنية عليه[4]، فأجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه، «إذ ليس أحد يصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم- إلا وهو يصلي على إبراهيم وخاصة في الصلوات، وعلى المنابر التي هي أفضل الحالات، وأفضل الدرجات، والصلاة دعاء بالرحمة»[5].

والآخر: ما ذهب إليه أبو السعود (ت 951 هـ) وسيد قطب: أنه -عليه السلام- دعا ربه أن يبعث في آخر الزمان من يجدد أصل دينه، ويدعو إلى ما كان يدعو إليه من التوحيد[6]، ولعلها

---

[1] - سورة الشعراء 83-84.
[2] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2604.
[3] - المرجع نفسه، م5، ج19، ص2604.
[4] - انظر: - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص235.
- أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ت. هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي، ط1، دار المعرفة، لبنان، 1406هـ 1986م، ج7، ص304.
[5] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م7، ج13، ص113.
[6] - انظر: - أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط2، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1411هـ 1990م، ج6، ص250.
- و سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2604.

هي دعوته في موضع آخر ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) ﴾[1].

والمراد باللسان في الآية الكريمة القول، وأصله جارحة الكلام، حيث استعار اللسان «للثناء الجميل الباقي في أعقابهم والخالف في آثارهم، والعرب تقول جاء في لسان فلان، تريد مدحه أو ذمه، فلما كان مصدر المدح والذم عن الإنسان عبروا عنهما باسم اللسان، وإنما قال سبحانه "لسان صدق" إضافة اللسان إلى أفضل حالاته وأشرف متعرفاته، لأن أفضل أحوال اللسان أن يخبر صدقا أو يقول حقا»[2].

وذهب الألوسي (ت1270هـ) أنه إذا كان المراد بالآية المعنى الأول، كان اللسان مجازا عن الذكر بعلاقة السببية، أي أن اللسان سبب في تخليد الصيت والذكر الجميل في الدنيا.

وإن كان المراد بالآية المعنى الثاني، وهو طلب بعثة نبي فيهم يجدد أصل دينهم، جُعل اللسان مجازا عن الداعي بإطلاق الجزء على الكل، لأن الدعوة باللسان، فكأنه قال: اجعل لي داعيا إلى الحق صادقا في الآخرين[3].

ولعل القول الأرجح -والله أعلم- أنها مجاز مرسل وليست استعارة، لأن الاستعارة كما عرفها فخر الدين الرازي (ت606هـ): «عبارة عن جعل الشيء بالشيء أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه»[4]. أما المجاز المرسل فهو «ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه كاليد إذا استعملت في النعمة»[5]، كذلك اللسان إذا استعمل في الذكر الحسن فهو مجاز مرسل علاقته آلية، وهو تسمية الشيء باسم آلته، فاللسان هو آلة الثناء الجميل[6].

---

[1] - سورة البقرة 128.
[2] - الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص172.
[3] - الألوسي، روح المعاني، م7، ج19، ص98.
[4] - فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت. بكري شيخ أمين، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1985م، ص232.
[5] - الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة "المعاني والبيان والبديع"، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص154.
[6] - الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، التبيان في البيان، ط1، دار البلاغة، لبنان، 1411هـ 1991م، ص146.

وقد عد البلاغيون إطلاق اسم الآلة على الأثر الذي يتولد عنها نمطا من أنماط العلاقة في المجاز المرسل أسموه "الآلية"، وذلك كما في استخدام اللسان[1].

وهذا التعبير المجازي في الآية الكريمة ذو قيمة تأثيرية بالغة، فهو يعطي الإحساس بخطورة الوضع الذي يعيشه الإنسان في هذه الحياة الفانية، وأنه مشرف على الموت في كل لحظة، «لذلك لا بأس أن يحب الرجل أن يُثنى عليه صالحا، ويُرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا(96)﴾[2]، أي حبا في قلوب عباده وثناء حسنا[3]، فنبه الله تعالى بهذه الآية على اكتساب ما يورّث الذكر الجميل، والصيت الحسن، فإن الذكر الحسن للإنسان عمر ثان بعد عمره الفاني.

2- العلاقة الكلية:

●● في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(105)﴾[4].

هذه حلقة ثالثة من سلسلة القصص، احتوت قصة سيدنا نوح -عليه السلام- وقد تطرقنا إلى قصته عند تعرضنا للآية ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(118)﴾[5].

وهذه الآية هي الأولى في القصة، ولكنها تمثل مشهدا من مشاهد النهاية، وهذه من الخصائص الفنية للقصة القرآنية، حيث تعرض ملخصا للقصة، ثم تعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، فكأن هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة للتفصيلات[6]. ودخلت "التاء" في "كذبت" والقوم مذكر، لأن المراد بالقوم الجماعة، أي كذبت جماعة نوح المرسلين، كما يقال قالت قريش، وقالت بنو عامر[7].

---

1 - شفيع السيد، التعبير البياني "رؤية بلاغية نقدية"، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1415هـ 1995م، ص109.
2 - سورة مريم 96.
3 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م7، ج13، ص113.
4 - سورة الشعراء 105.
5 - سورة الشعراء 118.
6 - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص148.
7 - محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم "إعرابه وبيانه"، م10، ج19، ص180.

قال النابغة الذبياني:

قالت بنو عامر خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضرّارا لأقوام[1]

«وذلك قياس في كل اسم جمْع لا واحد له من لفظه إذا كان لآدمي مثل نفر ورهط، فأما إذا كان لغير الآدميين نحو إبل فمؤنث لا غير»[2].

وإنما جمع المرسلين مع أن المرسل واحد وهو نوح -عليه السلام- وهو أول الرسل ولم يكن قبله رسول، «إشعارا بأن من قابل بالتكذيب رسولا واحدا فقد كذّب ضمنيا وبصورة غير مباشرة كافة الرسل، وذلك لأن الرسالات الإلهية -وإن تعددت بتعدد الأنبياء والمرسلين- هي في طبيعتها وجوهرها رسالة واحدة، صادرة من منبع واحد، هو منبع الوحي الإلهي، الواحد الوحيد ... »[3]، فمن كذب بها فقد كذب بالمرسلين أجمعين، ولذا عد الله سبحانه وتعالى الإيمان ببعض رسله دون بعض كفرا بالجميع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151)﴾[4].

فهذه الآية مجاز مرسل علاقته كلية، وهي إطلاق الكل وإرادة البعض، حيث ذُكر نوح -عليه السلام- بصيغة الجمع وهو واحد «تعظيما له وتنبيها على أن من كذب رسولا فقد كذب جميع المرسلين»[5].

ونظير ذلك ما جاء في باقي قصص الأنبياء في السورة ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123)﴾[6]، و﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾[7]، وغيرهما من الآيات...

---

1 - النابغة الذبياني، د.ط، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص105.
2 - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص157.
3 - محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، ج4، ص384.
4 - سورة النساء، 150-151.
5 - الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص394.
6 - سورة الشعراء 123.
7 - سورة الشعراء 141.

3- العلاقة المحلية:

•• في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ(208)﴾[1].

أهلكنا:

أصل الجذر "هـ.ل.ك" هو الموت، فيقال: هلك فلان يهلك هلاكا، واسم الفاعل هالك.

والهلاك والاهتلاك: رمي الإنسان نفسه في تهلكة[2].

وقد شاع اللفظ فانتقل بطريق المجاز من دلالته المعنوية "الموت" إلى الدلالة المادية، فقالوا استهلك ماله، إذا أنفقه وبذره.

قال عنترة:

فإذا شربت فإنني مستهلك مالي، وعرضي وافر لم يكلم[3].

وقوم هُلاّك: صعاليك، سيئو الحال[4].

قال جميل:

أبيت مع الهلاك، ضيفا لأهلها وأهلي قريب موسعون، ذوو فضل[5].

والتهلكة: ما يؤدي إلى الهلاك[6].

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(195)﴾[7].

«لقد أخذ الله على البشر عهد الفطرة أن يوحدوه ويعبدوه، والفطرة بذاتها تحس بوجود الخالق الواحد ما لم تفسد وتنحرف، وبث دلائل الإيمان في الكون، كلها توحي بوجود الخالق

---

1 - سورة الشعراء 208.
2 - الفراهيدي، العين، ج3، مادة (هـ.ل.ك)، ص377.
3 - عنترة، الديوان، ص24.
4 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (هـ.ل.ك)، ص487.
5 - جميل بثينة، الديوان، إشرح عبد المجيد زرقاط، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1404هـ 1989م، ص88.
6 - ابن منظور، لسان العرب، ج6، مادة (هـ.ل.ك)، ص4687.
7 - سورة البقرة 195.

الواحد، فإذا نسي الناس عهد الفطرة، وأغفلوا دلائل الإيمان جاءهم نذير يذكرهم ما نسوا، ويوقظهم إلى ما أغفلوا، فالرسالة ذكرى تذكر الناسين وتوقظ الغافلين»[1].

فهذه الآية عبارة عن تذكير لقريش بأن أهل القرى التي أهلكها الله والتي تقدم ذكرها في هذه السورة، قد ألزمت الحجة عليهم بإرسال الرسل إليهم لينذرونهم عذاب الله، وليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يكفروا مثل كفرهم.. وليقيس أهل مكة حالتهم على أحوال الأمم التي قبلهم، وليتذكر أولو الألباب، حتى لا يصيبهم مثل ما أصابهم من الخزي والعذاب.

والمراد بالقرية في الآية هو الأهل والسكان وليست القرية، لأنها عبارة عن أبنية ومساكن من حجارة وطين، فلا يصح منها عمل المنكرات ولا الكفر بالله حتى يثبت عليها الإنذار والإهلاك، فعلم أن المراد بذلك أهلها لا نفسها.

ومنه فهذه الآية مجاز مرسل علاقته محلية، حيث ذكر لفظ المحل "القرية" وأريد به الحالّ فيها "وهم الأهل". وهذا مبالغة في تخويف الجاحدين، إذ إن العذاب إذا حلّ فإنه يصيب كل شيء، القرية وأهلها، مساكنها وسكانها.

ثانيا: المجاز العقلي

المجاز العقلي أسلوب عربي فصيح، يدل على سعة العربية، وقدرتها على تجاوز حدود الحقيقة إلى الخيال، ذلك أنه لو كان الإسناد قاصرا على الحقيقة وحدها لجفت اللغة، وانعدم فيها رونق الحياة، وجمال التعبير[2].

كما يعد كنزا من كنوز البلاغة، ولعل سر اللطف فيه هو: «أن تكون الكلمة متروكة على ظاهرها ويكون معناها مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية وتعريض»[3].

وقد ورد هذا النوع من المجاز في آيتين كريمتين من سورة الشعراء (الآيتين 4، 135):

---

[1] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2618.

[2] - بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد "علم البيان"، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1402هـ 1982م، ص91.

[3] - أحمد مطلوب، فنون بلاغية "البيان والبديع"، ط1، دار البحوث العلمية، د.م، 1395هـ 1975م، ص98.

أ/ •• قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(4)﴾[1].

فظلت:

لمادة "ظ.ل.ل" في اللغة العربية ثلاثة معان، وهذا تفصيل ذلك:

الظل معروف، والجمع ظلال.

قال تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(24)﴾[2].

الظل: سواد الليل[3].

قال ذو الرمة:

قد أعسف النازح المجهول معسِفَه في ظل أغْضَفَ يدعُو هامه البوم[4]

ويقال: ظلِلت أعمل كذا -بالكسر- ظلولا، إذا عملته بالنهار دون الليل[5].

قال عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل[6].

وبفضل المجاز اتسعت دلالة اللفظة، فيقال: هو يتبع ظل لِمّتِه ويُبَاري ظِلّ رأسه إذا اختال[7].

والظل أيضا: العز والمنعة، يقال: فلان في ظل فلان أي في كنفه[8].

خاضعين:

خَضَعَ يخْضَعُ خَضْعًا وخُضُوعا، والأصل فيه: التواضع والتطامن والذل[9].

---

1 - سورة الشعراء 4.
2 - سورة القصص 24.
3 - الفراهيدي، العين، ج8، مادة (ظ.ل.ل)، ص149.
4 - ذو الرمة، الديوان، ص476.
5 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، مادة (ظ.ل.ل)، ص1756.
6 - عنترة، الديوان، ص57.
7 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ظ.ل.ل)، ص290.
8 - ابن منظور، لسان العرب، ج4، مادة (ظ.ل.ل)، ص2756.
9 - الفراهيدي، العين، ج1، مادة (خ.ض.ع)، ص113.

خضع الإنسان خضعا: أمال رأسه إلى الأرض أو دنا منها، وقوم خضّع، ناكسو الرؤوس.

ثم كثر ذلك، فخرجت اللفظة من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية المعنوية:

فقالوا: "سمعت للسياط خضعة وللسيوف بضعة". فالخضع، وقع السياط، والبضع: القطع[1].

ومنه خضعت الإبل في سيرها: أي جدت، وهن خواضع، لأنها إذا جدت طمأنت أعناقها[2].

وجاءت لفظة "الخضع" بمعنى اللين، أخضعت المرأة صوتها، أي ألانت كلامها أمام الرجال[3].

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا(32)﴾[4].

الآية الرابعة من سورة الشعراء هي بسبيل تطمين الرسول - صلى الله عليه وسلم- وتسليته من جهة، وإنذار المشركين من جهة أخرى، وفيها تذكير من الله لرسوله بأن حرصه على هداية قومه الضالين، لن يخرجهم عما هم فيه من ضلال وشرك، «وبأنه لو شاء إلجاء الكافرين إلى الإيمان لما وجد كافر على وجه الأرض منذ قديم الزمان، فضلا عن بقائه إلى الآن، وحتى الآن»[5]، فالله قادر على كل شيء وهو قادر على أن ينزل معجزة قاهرة «لا يملكون معها قولا، ولا يستطيعون من يديها إفلاتا، تلك الآيات المهلكة التي تقطع على الناس سبيل الخروج من سلطانها، فإذا عاينوا آية من تلك الآيات خضعوا لها وذلوا لسلطانها، وجاءوا إلى الله مؤمنين، كما جاء فرعون إلى الله مؤمنا حين أدركه الغرق»[6]، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي

---

1 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، ص1204.
2 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (خ.ض.ع)، ص114.
3 - ابن منظور، لسان العرب، ج2، (خ.ض.ع)، ص1188.
4 - سورة الأحزاب 32.
5 - محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، ج4، ص363.
6 - عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، م5، ج19، ص72.

إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ(90) ﴾[1].

ولكن حكمة الله اقتضت أن يكون الناس أحرارا، وجعل لهم اختيارا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، «وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم»[2]، ولهذا أقام الثواب والعقاب. ويوضح مغزى هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.. ﴾[3]، وقوله أيضا ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(99) ﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ(22) ﴾[5].

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(4) ﴾[6]، فقيل في ذلك عدة وجوه:

أحدها: إن المراد بالأعناق جماعة من الناس، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس.

الثاني: أراد أصحاب الأعناق، فحذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامها، فجعل الفعل أولا للأعناق، ثم جعل خاضعين للرجال، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون. وإلى هذا القول ذهب الفراء[7] (ت 207 هـ).

الثالث: ما اختاره أبو عبيدة (ت210هـ): أنه لما وُصفت الأعناق بالخضوع، وهو من صفات بني آدم، أخرج الفعل مخرج الآدميين[8]، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(4) ﴾[9].

---

1 - سورة يونس 90.
2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص176.
3 - سورة البقرة 256.
4 - سورة يونس 99.
5 - سورة الغاشية 22.
6 - عبد الله بن عباس، غريب القرآن في شعر العرب "سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس"، ت. محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1413هـ 1993م، ص211.
7 - الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، معاني القرآن، ت. محمد علي النجار، د.ط، الدار المصرية، د.م، د.ت، ج2، ص277.
8 - أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، علق عليه محمد فؤاد سزكين، د.ط، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت، ج2، ص83.
9 - سورة يوسف 4.

الرابع: ما ذهب إليه الزمخشري (ت538هـ): «إن أصل الكلام "فظلوا لها خادعين" فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله، كقوله: ذهب أهل اليمامة، كأن الأهل غير مذكور»[1].

«صوّر سبحانه وتعالى هذه الآية بتلك الصور الحسية "فظلت أعناقهم لها خاضعين" للإشعار بأن هذه الآية لو أراد -سبحانه- إنزالها، لجعلتهم يخضعون خضوعا تاما لها، حتى لكأن أعناقهم على هيئة من الخضوع والذلة لا تملك معها الارتفاع أو الحركة»[2]. وخضوع الأعناق كناية عن الذل والهوان، «لِما يقع على الإنسان من شدائد وأهوال، حيث يثقل الرأس ويضعف العنق من حملها وحمل ما بها من هموم»[3].

كما يجوز أن تكون هذه الآية مجازا عقليا، وهذا ما أميل إليه: «لأن الخضوع: هو التطامن والتواضع، ويستعمل في الانقياد مجازا، لأن الانقياد من أسباب الخضوع، وإسناد الخضوع إلى الأعناق مجاز عقلي، وفيه تمثيل لحال المنقادين الخائفين الأذلة بحال الخاضعين الذين يتقون أن تصيبهم قاصمة على رؤوسهم فهم يطأطئون رؤوسهم وينحنون اتقاء المصيبة النازلة بهم... ولما كانت الأعناق هي مظهر الخضوع أسند الخضوع إليها وهو في الحقيقة مما يسند إلى أصحابها» على سبيل المجاز العقلي[4].

وقد جاءت لفظة "فظلت" في صيغة الماضي للتيقن من وقوع الأمر، كما عبر القرآن في هذا الموضع بـ"فظلت" ولم يقل فبقيت، أو أصبحت أو غيرها من العبارات التي تحمل المعنى نفسه، والسر في ذلك -والله أعلم- أن "فظلت" فعل يدل على الاستمرارية والديمومة، فقد رأينا من معانيه "الظل" وهو الشيء الملازم لأصله، إذ إن لكل شيء ظلا، وكذلك عرفنا من معانيه أيضا "العز والمنعة"، وهذا ما يقابله الخضوع، وهو ما يحمل معنى الانكسار والذل. كما اختير

---

[1] - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص299.
[2] - الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م10، ج19، ص10.
[3] - عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، م5، ج19، ص73.
[4] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص96.

من أعضاء الإنسان "العنق" دون غيرها، لأنها «موضع الصلابة، وعنها تنشأ حركات الكبر والإعراض»[1].

ب/•• قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(135)﴾[2].

هذه حلقة رابعة من سلسلة قصص الأنبياء، احتوت قصة رسالة هود -عليه السلام- إلى قومه عاد، «وقوم هود كانوا يسكنون الأحقاف، وهي جبال رملية قرب حضرموت من ناحية اليمن، وقد جاءوا بعد قوم نوح، وكانوا ممن زاغت قلوبهم بعد فترة من الطوفان الذي طهر وجه الأرض من العصاة»[3]. وقد ذكرت هذه القصة في سور سابقة، وجاءت هنا لتطمين النبي -صلى الله عليه وسلم- وإنذار كفار العرب من العذاب.

ففي هذه الحلقة يذكر سيدنا هود-عليه السلام- قومه بما يسّره الله لهم من أسباب الثروة والرفاه، فكانوا ينشئون السدود والمنشآت العالية، فأمرهم بالتقوى والإيمان بالله وأنذرهم بعذاب عظيم إن لم يتقوا «فهو أخوهم، وهو واحد منهم، وهو حريص ألا يحل بهم عذاب ذلك اليوم الذي لاشك فيه، ولكن هذه التذكرة وهذا التخويف لا يصلان إلى تلك القلوب القاسية الفظة الغليظة»[4]. فاستحقوا بذلك عذاب الله، فينطوي قوم عاد كما طويت أقوام من قبلهم... وإن في ذلك لآية ولكن أكثرهم لا يعتبرون.

«هذا، و"يوم" المراد به هنا هو يوم القيامة، وهو مقدار ألف سنة من أيام الدنيا»[5]، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ(47)﴾[6].

فإسناد لفظة "عظيم" لليوم مجاز عقلي، لأن العظم وصف للعذاب لا لليوم، فيكون أصل الكلام: إني أخاف عليكم عذابا عظيما يوم القيامة.

---

1 - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص347.
2 - سورة الشعراء 135.
3 - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2609.
4 - المرجع نفسه، م5، ج19، ص2610.
5 - محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم، م5، ج19، ص195.
6 - سورة الحج 47.

وقال الطاهر بن عاشور «ووصف يوم بـ"عظيم" على طريقة المجاز العقلي، أي عظيم ما يحصل فيه من الأهوال»[1].

وأسندت الصفة لـ"يوم" بدل "عذاب"، وهذا -والله أعلم- لتخويف السامع من ذلك اليوم الطويل، إذ كلما كان طويلا زمانه، كان شديدا عذابه. وكثيرا ما تسند الصفة إلى اليوم عند الحديث عن يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(9)﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَقِيمٍ(55)﴾[3]. «فالعقيم -المرأة- التي لا تجيء بولد والولد من أعظم النعم وأجسم الخيرات ولهذا قال العرب.. شوهاء وولود، خير من حسناء عقيم»[4]، فلما كان ذلك اليوم لا يأتي بمنفعة ولا ثواب، لأنه يوم الحساب وليس يوم العمل، سُمي عقيما. فكذا كان التصوير القرآني تصويرا دقيقا، ووصفا لائقا، وملفتا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص170.
[2] - سورة المدثر 9.
[3] - سورة الحج 55.
[4] - العسكري، كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، ص300.

المبحث الرابع: الكناية في سورة الشعراء

يعرف عبد القاهر الجرجاني الكناية «بأن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه»[1].

كما يعرّفها ابن الأثير بأنها «هي اللفظ الدالّ على الشيء، على غير الوضع الحقيقي، بوصف جامع بين الكناية والمكني عنه، كاللمس والجماع، فإن الجماع اسم موضوع حقيقي، واللمس كناية عنه، وبينهما الوصف الجامع، إذ الجماع لمس وزيادة، فكان دالا عليه بالوضع المجازي»[2].

فالكناية فن من التعبير تزخر به البلاغة، وباب واسع من أبواب الإبلاغ وجمال التصوير، وهي كثيرة في كتاب الله، فالأسلوب الكنائي في القرآن «فيه من روعة التعبير، وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن»[3].

وفي سورة الشعراء بعضٌ لألوان هذا الفن، إليكموه:

أولا: التمويل بالكناية

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ(18)وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(19)قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(20)﴾[4].

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص68.
[2] - ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص60.
[3] - محمد السيد شيخون، الأسلوب الكنائي "نشأته، تطوره، بلاغته"، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1398هـ 1978م، ص102.
[4] - سورة الشعراء 18-20.

ها نحن أمام المشهد الثاني من حلقة موسى عليه السلام، وهو مشهد المواجهة بين موسى الرسول وفرعون الجبار، ومما يلاحظ أن هناك حذفا بين المشهدين -الأول والثاني- فلم يذكر القرآن رحلة تبليغ الرسالة، وهذه من الخصائص الفنية في عرض القصة القرآنية «بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملأها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق»[1].

ويذكر بعض المفسرين أنهما -أي موسى وهارون- انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة، حتى قال البواب إن هناك إنسانا يزعم أنه رسول من الله، فسمح لهما بالدخول، فأديا إليه الرسالة...[2]

طلب موسى -عليه السلام- من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل ليذهب بهم إلى فلسطين، فعجب فرعون من هذا الطلب العظيم، وقد كان آخر عهد له بموسى طفلا في القصر، ولبث في بيت الملك مدة من الزمن[*]، وبعد غيابه هذه السنين جاء بأمر على غير رغبة فرعون، وبدين يخالف دين فرعون، وجاء بدعوة إلى إله غير فرعون الإله...!!

وبكل استهزاء وتهكم واحتقار لسيدنا موسى -عليه السلام- بدأ فرعون بتعداد نعمه عليه، فقد رُبي في قصره، وبلغ مبلغ الرجال حتى اشتد ساعده، ثم أومأ إليه بالفعلة الشنيعة التي لا يقدر أن يقولها صراحة، ويأتي اليوم ويتحدث عن رب العالمين، وعن العدل؟!... ظن فرعون أن موسى -عليه السلام- لن يجد جوابا ولا يستطيع المقاومة -خاصة حكاية القتل- ولكن الله استجاب لدعاء موسى -عليه السلام- ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)﴾[3]. ورد عليه بفصاحة وبيان، وأقر بقتله للقبطي، وأنه فعلها وهو من الضالين[4].

---

[1] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص187-188.

[2] - القصة مفصلة عند فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، م12، ج24، ص125.

[*] - قيل لبث فيهم ثلاثين سنة، ثم خرج إلى مدين عشر سنين، ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين، ثم بقي بعد الغرق خمسين. – انظر البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، د.ط، دار الفكر، د.م، د.ت، ص486.

[3] - سورة طه 27-28.

[4] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2591.

ومعنى الضالين: «أي وأنا من الجاهلين، أو من الناسين، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾[1]. أو من المخطئين لا من المتعمدين، كما يقال: ضل عن الطريق، إذا عدل عن الصواب إلى الخطأ، وهذا هو الأظهر، والله أعلم. أي قال موسى: فعلت تلك المعصية، وأنا من المخطئين لأني لم أتعمد قتله، وإنما أردت تأديبه، ولم يقصد موسى الضلال عن الهدى لأنه نبي معصوم»[2].

وقول فرعون ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(19)﴾ كناية عن قتل جاره القبطي، وفي العدول عن ذكر فعلة معينة إلى ذكرها مجملة مبهمة مضافة إلى ضمير، ثم وصفها بما لا يريد على معنى الموصوف، إيذانا بأنه لفظاعتها مما لا يُنطق إلا مكنيا عنه، وفي ذلك كناية مرادٌ بها تهويل وتفظيع بالأمر، وأن هذه الفعلة مشتهرة معلومة مع تحقق إلصاق تبعتها به حتى لا يجد تنصلا منها»[3].

ومما يلاحظ في هذه الآية تكرار لفظة "فعلتَ" أربع مرات، ثلاث مرات من فرعون لموسى، ومرة من موسى جاءت كردّ على تهمة فرعون له، وهذا -والله أعلم- من باب المبالغة في التهويل والتشنيع بموسى، وأن هذا الفعل لا ينسب إلا إليك فأنت متلبس به، لا يمكنك التملص منه، فكانت هنا الكناية أبلغ من الإفصاح. فلفظاعة الفعلة استنكف لسان فرعون عن البوح بها، وهذا تعبير فني رائع، ورسم واضح، بلون واحد، مكرر ومضغوط، تمثل في لفظة "فعلت"، وكان جواب موسى متناسقا مع اللون نفسه الذي رسمه فرعون في تلك اللوحة الفظيعة المهولة.

ثانيا: الإشارة بالكناية

●● في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ(28)﴾[4].

---

[1] - سورة البقرة 282.

[2] - أبو يحيى زكرياء الأنصاري، فتح الرحمن ما يلتبس في القرآن، ت. محمد علي الصابوني، ط2، د.ن، الجزائر، 1408هـ 1988م، ص407.

[3] - انظر الزمخشري، الكشاف، ج3، ص108.
- والطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص112.

[4] - سورة الشعراء 28.

هذه الآية مشهد من مشاهد حلقة موسى -عليه السلام- فبعد الحوار الذي جرى بين كليم الله وفرعون الجبار، بدأ فرعون بالاستفسار عن المرسِل، وعن رب العالمين، منكرا أن يكون للعالمين رب سواه.

«فأتى موسى -عليه السلام- بالصفات التي تبين أنه لا مشاركة لفرعون فيها، وهي ربوبية السموات والأرض... ثم زاد موسى -عليه السلام- في بيان الصفات التي تظهر نقص فرعون، وتبين له أنه في غاية البعد عن القدرة عليها، وهي ربوبية "المشرق والمغرب"، ولم يكن لفرعون إلا ملك مصر من البحر إلى أسوان وأرض الإسكندرية»[1].

فالله تعالى هو الذي يطلع الشمس من المشرق ويجعلها تغرب من المغرب، وهذا مشاهَد كل يوم يدركه العاقل والجاهل، «وهذان الحدثان العظيمان لا يجرؤ فرعون ولا غيره من المتجبرين أن يدعي تصريفهما. فمن يصرّفهما إذن ومن ينشئهما بهذا الإطراد الذي لا يختلف مرة ولا يبطئ عن أجله المرسوم»[2].

وهذه الحجة من أبلغ الحجج التي تقصم ظهر الباطل، كقول إبراهيم -عليه السلام- في مناظرة النمرود: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(258)﴾[3].

ولفظ المشرق والمغرب يدل على الشروق والغروب، وهو من "الصور الضوئية"[4] المرتبط بضياء الشمس ونور القمر، والمتصلة بالصورة اللونية، اللون الأبيض واللون الأسود، الخاضعة لحاسة البصر، فبياض النهار وامتداده، وسواد الليل وأسراره، دليل على أن ما مسحه ضوء النهار، وطوته ظلمة الليل، ملكٌ لله خالق النور والظلام. كما أن هناك في الآية لفتة إلى «نمط آخر من الصور البصرية، وهو ما يمكننا تسميته بالصورة المساحية. وهي تلك التي

---

[1] - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص229.
[2] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2593.
[3] - سورة البقرة 258.
[4] - وحيد صبحي كبابة، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس، ص119.

توحي بالامتداد المساحي المكاني، فلا تقتصر على الإشارة إلى المحسوس في إطاره المكاني الضيق المحدود، وإنما تتجاوزه»[1]، إلى أبعد من ذلك، فإن الشروق والغروب، يدل أيضا على مكاني الشروق والغروب، فكأنه قيل رب طرفي الأرض، وهو كناية عن كون جميع الأرض ملكا لله[2]، أي أن الله عز وجل له الأرض كلها، لا يختص به مكان دون مكان.

ثالثا: التوريخ بالكناية

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ(165)﴾[3].

أتأتون:

مادة "أ.ت.ى" في اللغة العربية تدل على معنيين:

1- المجيء: أتيته أتيا، أي جئته.

قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(1)﴾[4].

2- العطاء: آتى، يؤاتي، إيتاء، وآتاه إيتاء، أي أعطاه.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا(62)﴾[5].

ومن هذه الدلالة جاءت الاستعمالات المجازية فيما هو عطاء واضح:

فقالوا: أتيتُ الأمر من مأتاه ومأتاته، أي من وجهه.

وأتى عليه الدهر، أفناه.

وتأتيت لهذا الأمر: ترفقت له، وقيل تهيأت[6].

---

[1] - وحيد صبحي كبابة، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس، ص122.
[2] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص121.
[3] - سورة الشعراء 165.
[4] - سورة النحل 1.
[5] - سورة الكهف 62.
[6] - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (أ.ت.ى)، ص2.

هذه الآية مشهد من مشاهد حلقة لوط -عليه السلام- وهي تمثل المشهد الأول، حيث بينت الذي جرى بين سيدنا لوط -عليه السلام- وبين قومه، وقد تطرقنا إلى قصته مفصلة(*) في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ(173)﴾[1].

والاستفهام الذي جاء في الآية للإنكار والتوبيخ[2]، حيث قال لهم سيدنا لوط: «أبلغ بكم انحطاط الفطرة، وانتكاس الطبيعة، أنكم تأتون الذكور الفاحشة، وتتركون نساءكم اللاتي أحلهن الله تعالى لكم، وجعلهن الطريق الطبيعي للنسل وعمارة الكون»[3]، وأما إتيان الذكور فلا يرمي إلى هدف، ولا يحقق غاية، وأن في ذلك ضياعا للنسل وانقطاعا للذرية، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(21)﴾[4].

«والمراد بالعالمين الناس، لأن المأتى الذكور منهم خاصة، والقرينة إيقاع الفعل والجمع بالواو والنون، من غير نظر لتغليب... »[5].

فكان تعبير القرآن عن هذه العادة السيئة، وعن هذا الشذوذ بالإتيان: وهذا كناية عن اللواط، وهذا هو القرآن فإنه يقصد إلى التلميح في مواطن لا تحتمل التصريح، وهذا ما أراده الله -والله أعلم- في هذه الآية الكريمة، حيث عبّر عن معاشرة الرجال الرجال بالإتيان، بغية المحافظة على سمو الخطاب وطهارته، فإن القرآن جاء لتهذيب النفوس وكذا الألفاظ. وإن شئنا استخدام لفظة أخرى بدل هذه الكناية القرآنية، فإننا لا نستطيع. مثل لفظة: نكحتم، أو أتيتم الرجال في أدبارهم... فإنه يثور في النفس صورا شاذة ترسمها هذه الكلمات غير اللائقة هنا.

---

* - ارجع إلى قصة لوط عليه السلام مفصلة في مبحث "التشبيه" من هذا الفصل، ص73.

1 - سورة الشعراء 173.

2 - الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1411هـ 1991م، ج5، ص308.

3 - الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م10، ج19، ص60.

4 - سورة الروم 21.

5 - الألوسي، روح المعاني، م7، ح19، ص115.

فهناك انجذاب بين الطرفين. فبفعلتهم هذه كانوا سببا في تعطيل الحياة والغاية من الزواج وهو الإعمار، فهم ليسوا خطرا على أنفسهم فحسب، بل خطر على الكون جميعا. والأدهى في ذلك أنهم هم مبتكرو هذه الفعلة الشنيعة التي تحاشى القرآن عن الإفصاح بها، فلم يسبقهم أحد إليها من العالمين، كما ذكر القرآن في مواضع أخرى. ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ(28)﴾[1].

فهم بذلك سباقون إلى هذه الفاحشة، وينالون وزر من استن بهم، فقد رسموا للبشرية طريقا جديدا للغواية والفساد.

ومن هنا كان التوبيخ واللوم الشديد عن طريق الكناية عله يجد في النفس استجابة، وفي السلوك استقامة، إذ إن القرآن جاء ليهذب النفوس ولو عن طريق التوبيخ.

فجمالية التهذيب في أسلوب القرآن «وجه من وجوه الإعجاز البياني، فلا شك أن طابع التهذيب يدل على تمكن من الفروق اللغوية، بحيث تختار كلمة مناسبة تومئ بظلالها إلى المعنى، وهذا يدل على النهوض بالنفس البشرية وإبعادها عن الابتذال، لأن الحياة السوية مطلب القرآن الكريم»[2]. فكانت بذلك الكنايات القرآنية وجها من وجوه الإعجاز القرآني.

[1] - سورة العنكبوت 28.
[2] - أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، ص255.

المبحث الخامس: التعريض في سورة الشعراء

يعرّف ابن الأثير التعريض بقوله: «فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج، وليس في يدي شيء... فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازا، إنما دل عليه من طريق المفهوم»[1].

كان التعريض من استعمالات العرب قديما في كلامهم، شعرا ونثرا، ولعل المزية تعود لهذا الفن في أنه أحسن من الكشف والتصريح، في بعض المواضع، ووجهُ حسنه واضح، أنه حين التعبير عن شيء، لا يراد به معناه الذي يدل عليه ظاهره، وإنما يراد به معنى آخر يرتبط به ويلازمه ويفهم من جانبه[2].

أولا: التحذير بالتعريض

•• قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(82)﴾[3].

أطمع:

الطمع: ضد اليأس، طمِع، طمَعا، فهو طامع، وأطمَعَه غيره، وإنه لطَمِع، أي حريص[4].

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ(51)﴾[5].

---

1 - ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص66-67.
2 - المصدر نفسه، ج3، ص67.
3 - سورة الشعراء 82.
4 - الفراهيدي، العين، ج2، مادة (ط.م.ع)، ص27.
5 - سورة الشعراء 51.

ثم انتقلت اللفظة من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية:

فقالوا: أخذ الجند أطماعهم: أي أرزاقهم، وإن الطير ليصاد بالمطامع، وهي جمع مُطْمِع: وهو الطائر الذي يوضع في وسط الشبكة لتصاد بدلالته الطيور[1].

يغفر:

يقال: غفر الشيء، غطاه وستره[2].

ومن كلام العرب: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه، أي أجمل له وأغطى له[3].

وقد أخذت اللفظة معان متعددة، حسبنا ما ذكرناه.

الغافر، الغفور، الغفار -جل ثناؤه- من أسماء الله تعالى، تشترك في معنى واحد، وهو العفو والصفح، والستر على ذنوب العباد، ولكنها تفترق في معنى الصيغة. فالغافر من اتصف بالمغفرة على سبيل الإطلاق، قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ(3)﴾[4]، والغفار أبلغ من الغفور لأنه وُضع للتكثير، ومعناه أنه يغفر الذنوب ذنبا بعد ذنب أبدا، ويستر صاحبها، فلا يشتهر ذنبه لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى(82)﴾[5]. أما الغفور فينبئ عن كمال الفعل وشموله، وكون هذا الفعل شأنا وعادة[6]، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا(58)﴾[7].

هذه الآية مشهد من مشاهد حلقة إبراهيم، عليه السلام، فبعد أن جمع خليل الرحمن عناصر العقيدة الصحيحة: «توحيد الله رب العالمين، والإقرار بتصريفه للبشر في أدق شؤون حياتهم

---

1 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ط.م.ع)، ص284.
2 - الفراهيدي، العين، ج4، مادة (غ.ف.ر)، ص407.
3 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (غ.ف.ر)، ص326.
4 - سورة غافر 3.
5 - سورة طه 82.
6 - أحمد مختار عمر، أسماء الله الحسنى، ص67.
7 - سورة الكهف 58.

على الأرض، والبعث والحساب بعد الموت، وفضل الله وتقصير العبد»[1]. وهي العناصر التي ينكرها أبوه وقومه وينكرها مشركو العرب.

يتجه خليل الرحمن إلى ربه برجاء وطلب «وفي هذه الآية أسمى درجات الأدب من إبراهيم -عليه السلام- مع ربه عز وجل، لأنه يوجه طمعه في المغفرة إليه وحده، ويستعظم -عليه السلام- ما صدر منه من أمور سماها خطايا»[2]، وقيل أراد بها قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ(89)﴾[3]، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ(63)﴾[4]، وقوله عن سارة أنها أخته. ويدل على أنه -عليه السلام- عدها من الخطايا، ما ورد في حديث الشفاعة من امتناعه -عليه السلام- من أن يشفع حياء من الله -عز وجل- لصدور ذلك عنه، وحملها على ذلك ضعيف لأنها معاريض وليست خطايا مفتقرة إلى الاستغفار، وإنما صدرت عنه -عليه السلام- بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه، فالأوليان لأنهما وقعتا مكتنفتين بكسر الأصنام، وأما الثالثة فلوقوعها بعد مهاجرته -عليه السلام- إلى الشام[5].

«وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها إنما تغفر في الدنيا، لأن أثرها يومئذ يتبين ولأن في ذلك تهويلا له وإشارة إلى وقوع الجزاء فيه إن لم تغفر»[6].

والغاية من هذا التعريض -حيث ذكر المغفرة لنفسه والمقصود هم المشركون- هو تحذير الأمة لاجتناب المعاصي، وتكون منها على حذر، «وتنبيها لأبيه وقومه على أن يتأملوا في أمرهم فيقفوا على أنهم في سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فإن حاله -عليه السلام- مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته، هي الغاية القاضية حيث كانت بتلك المثابة، فما ظنك بحال أولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا»[7].

---

[1] - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ح19، ص2603.
[2] - الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، م10، ج19، ص40.
[3] - سورة الصافات 89.
[4] - سورة الأنبياء 63.
[5] - الألوسي، روح المعاني، م7، ج19، ص97.
[6] - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج6، ص250.
[7] - المصدر نفسه، ج6، ص249.

فهذا تعريض مبطن بالتحذير، وهو من جماليات التعبير القرآني، إذ المسلم دائما يبدأ بالنصح لنفسه قبل إسدائه لغيره، ليكون أبلغ أثرا وأنفع شأنا.

ثانيا: التعريض والدعاء

•• قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(83)﴾[1].

هب:

وَهَبَ لك الشيء يهَبُه وَهْبا ووَهَبا وهِبَة، والاسم المَوْهب والمَوْهبة، وتواهب الناس، وهب بعض لبعض[2]، كلها بمعنى العطاء بلا عوض.

والوهّاب من صفات الله تعالى «وهو المتفضل بالعطاء دون عوض، ومانح الفضل بلا غرض، ومعطي الحاجة بغير سؤال»[3].

قال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ(9)﴾[4].

وكثيرا ما تدل الهبة في القرآن الكريم على طلب الولد.

كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ(72)﴾[5].

وألحقني:

تدل مادة (ل.ح.ق) على التتبع واقتفاء الأثر، يقال لحِقَ يلحَق لَحَاقًا، أي تتبعه وأدركه.

واللَّحَق: كل شيء لحق شيئا أو ألحقتَه به، من نبات ومن حمل النخل[6].

---

1 - سورة الشعراء 83.
2 - الفراهيدي، العين، ج4، مادة (و.هـ.ب)، ص98.
3 - أحمد مختار عمر، أسماء الله الحسنى، ص82.
4 - سورة ص 9.
5 - سورة الأنبياء 72.
6 - الفراهيدي، العين، ج3، مادة (ل.ح.ق)، ص48.

الصالحين:

الصلاح: نقيض الطلاح[1]، صلح يصلح صلاحا، ورجل صالح وصليح.

أما الصّلاح -بكسر الصاد- فهو المصالحة، والاسم الصُّلح[2].

والإصلاح في اللغة نقيض الإفساد.

مازال كليم الله -عليه السلام- يناجي ربه، وبعدما رجاه وطمع في مغفرته، أخذ سيدنا إبراهيم الأواه المنيب في دعاء رخي مديد يتوجه به إلى ربه في إيمان وخشوع[3]، يدعو الله بأن يهب له فهما وعلما بحدوده وأحكامه ليتمكن من خلافة الحق ورياسة الخلق، والتوفيق في العلوم والأعمال للانضمام إلى زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح عن كبائر الذنوب وصغائرها[4].

«وقدم الدعاء الأول على الثاني لأن القوة العلمية مقدمة على القوة العملية، لأنه يمكن أن يعلم الحق وإن لم يعمل به، وعكسه غير ممكن، لأن العلم صفة الروح والعمل صفة البدن، فكما أن الروح أشرف من البدن، كذلك العلم أشرف من العمل»[5]، ولقد أجاب الله دعاءه، حيث قال: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ(130)﴾[6].

فهذه الآية الكريمة تتضمن تعريضا بالدعاء، حيث سأل إبراهيم -عليه السلام- ربه فهما وحكمة ونبوة، لينضم بها في عداد الكاملين في الصلاح من الرسل والشهداء مثل نوح وهود وصالح وآدم... ويجمع بينه وبينهم في الجنة، فهذا الابتهال تعريض فيه طلب للازدياد في مراتب الكمال التي لا حد لها[7].

---

1 - الفراهيدي، العين، ج3، مادة (ص.ل.ح)، ص117.
2 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، مادة (ص.ل.ح)، ص383.
3 - سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ج19، ص2603.
4 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج6، ص250.
5 - الألوسي، روح المعاني، م7، ج19، ص98.
6 - سورة البقرة 130.
7 - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص45.

فكان إذن إبراهيم -عليه السلام- يرغب في الوصول إلى مدارج الصالحين، ولكن ذلك لا يكون إلا بعون من الله له، فجاء في دعائه تعريض إلى هذا المطلب، بطريقة فيها من سمو الأدب، ورقة الابتهال. فالوصول إلى درجة أهل الصلاح هو الأخذ بالأسباب إلى ذلك، ولا يتحقق ذلك إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: الوعد والوعيد بالتعريض

●● قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾[1].

تـدع:

الأصل في مادة (د.ع.و) دلالته على النداء.

دعا الرجل دَعْوًا ودُعَاءً، أي صاح به وناداه، والاسم الدعوة[2].

قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[3].

وقال عنترة:

يدعون عنتَرَ والدُّروع كأنها حَدَقُ الضفادع في غَدِير أدهم[4].

وتوسعت اللفظة إلى الدلالة المجازية:

فجاءت دعا بمعنى السؤال.

قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ(69)﴾[5].

الدُّعَاء: واحد الأدعية، وأصله دُعَاوٌ لأنه من دَعَوتُ، ويأتي بمعنى الاستغاثة[6].

---

[1] - سورة الشعراء 213.
[2] - الفراهيدي، العين، ج2، مادة (د.ع.و)، ص221.
[3] - سورة النور 63.
[4] - عنترة، الديوان، ص207.
[5] - سورة البقرة 69.
[6] - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، مادة، (د.ع.و)، ص2337.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(23)﴾[1].

وقال -صلى الله عليه وسلم- «إن الدعاء هو العبادة»[2].

الدَّعْوَة والدِّعْوَة: ما يُدعَى إليه من طعام أو شراب[3].

بعد ذكر القصص وأحوال الأمم السابقة، التفت الله إلى مخاطبة نبيه صلى الله عليه وسلم. وهذه الآية هي أولى الآيات التي تحتوي على أوامر ربانية للمصطفى في صدد دعوته، فأمره ألا يهتم ولا يغتم لتكذيب الكفار، بل عليه أن يظل متمسكا بدعوته وإخلاصه لله وعدم إشراك غيره معه في الدعاء لئلا يكون في عداد المعذبين. وإن كان -عليه الصلاة والسلام- لا يفعل ذلك لأنه معصوم، فخوطب بهذا، والمقصود غيره، «لأن من شأن الحكيم إذا أراد أن يؤكد خطاب الغير أن يوجهه إلى الرؤساء في الظاهر - وإن كان المقصود بذلك هم الأتباع- لأنه تعالى أراد أن يُتْبِعه ما يليق بذلك، فلهذه العلة أفرده بالمخاطبة»[4]. «وهذا الوعيد الموجه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- هو تعريض بالمشركين، وتلويح لهم بهذا العذاب الراصد لكل من يشرك بالله، ولو من أقرب المقربين إلى الله تعالى...! »[5].

ويرى الألوسي أنها كناية «عن أخْلِصْ في التوحيد حتى لا ترى معه -عز وجل- سواه، وفيه لطف لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لم يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه»[6]. أي إذا علمت ما ذكر فلا تدعُ مع الله إلها آخر.

---

[1] - سورة البقرة، 23.
[2] - ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، صحيح سنن ابن ماجه، ت. محمد ناصر الدين الألباني، ط3، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1408هـ 1988م، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ج2، ص324.
[3] - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، مادة (د.ع.و)، ص2337.
[4] - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، م12، ج24، ص172.
[5] - عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، م5، ج19، ص183.
[6] - الألوسي، روح المعاني، م7، ج19، ص134.

والأصوب -والله أعلم- أنها تعريض وليست كناية(*)، لأن التعريض(**) لا يأتي إلا في التركيب، ولا يأتي في المفرد على نحو ما تأتي الكناية، وإنما يفهم من سياق الكلام الذي قيل فيه.

وهذا ما نظنه ينطبق على هذه الآية الكريمة، فخوطب النبي - صلى الله عليه وسلم- وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه. ويشبه هذا التعريض قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(65)﴾[1].

* - ارجع إلى تعريف الكناية في مبحث "الكناية في سورة الشعراء" من هذا الفصل، ص108.
** - ارجع إلى تعريف التعريض في مبحث "التعريض في سورة الشعراء" من هذا الفصل، ص115.
[1] - سورة الزمر 65.

الفصل الثالث:

أثـــر البيـــان القرآني
في تطور النقد الأدبي

* **المبحث الأول: موقف الإسلام من الشعر**
* **المبحث الثاني: أثر الإعجاز القرآني في تطور الحركة النقدية**
* **المبحث الثالث: مستوى التركيب**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رأيت في هذا الفصل أن أنزاح إنزياحا جميلا عن موضوع التصوير البياني في القرآن الكريم، وهذا بغرض الوقوف عند مواطن أثر الدرس البياني للقرآن في النقد الأدبي، وكيف كان له الدور الإيجابي في الدراسات اللغوية بما تحمله هذه الكلمة من دلالة ومعنى، لاسيما وقد ورد في السورة التي تدور دراستي حولها هذه الآية: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ[224]أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ[225]وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ[226]إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ[227]﴾[1].

من هذا المنطلق، سوف نحاول الإجابة على بعض التساؤلات... أهمها ماهو موقف الإسلام من الشعر والشعراء؟ ماهي المقاييس الفنية التي نادى بها الإسلام لتقبل العملية الإبداعية؟ إلى أي مدى كانت الاستجابة الفنية مطابقة للموقف الإيماني؟..

[1] - سورة الشعراء 224-227.

المبحث الأول: موقف الإسلام من الشعر

أولا: موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء:

في القرآن الكريم ذِكر لثلاثة أمور لها صلة بهذا الموضوع: الشاعر والشعراء والشعر، وذلك في ستة مواضع:

1- قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [1].

2- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ(36)﴾ [2].

3- قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ(30)﴾ [3].

4- قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(41)﴾ [4].

5- قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ(69)لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ(70)﴾ [5].

6- قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224)أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225)وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(226)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)﴾ [6].

ويلاحظ المتأمل أن الآيات الثلاث الأولى تبين موقف من تصوروا القرآن ضربا من الشعر، ولم يؤمنوا بأنه وحي يوحي به الله إلى نبيه -صلى الله عليه وسلم- وترُد الآيتان اللاحقتان (4، 5) على هذا الموقف، وتؤكدان أن ما جاء به محمد -عليه الصلاة السلام- ليس

---

[1] - سورة الأنبياء 5.
[2] - سورة الصافات 36.
[3] - سورة الطور 30.
[4] - سورة الحاقة 41.
[5] - سورة يس 69-70.
[6] - سورة الشعراء 224-227.

شعرا، وأن محمدا لم يعلّم الشعر، ولا يتيسر له ذلك. أما آيات الموضع السادس فتتحدث عن شيء من طبيعة الشعراء والموقف منهم[1].

نحن إذًا أمام موقف جاهلي يخلط بين القرآن والشعر، وبين وظيفة المُبَلّغ ووظيفة الشاعر، وبين الموقف الإيماني الذي يقصد إليه القرآن والموقف الجمالي الذي يقصد إليه الشعر.

وبناء على ما تقدم نجد في القرآن الكريم تفصيلا لما يجب أن يكون الموقف من القرآن والتجربة الإيمانية. فالقرآن الكريم يبين ذلك في كثير من مواضعه:

قول الله عز وجل المنزل من عنده على عبده، إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ(6)﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا(23)﴾[3].

فهو يقصد -أي القرآن- إلى صياغة حياة الإنسان وفق مراد الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]. وهذا ما يستدعي موقفا إيمانيا اعتقاديا. وفي هذا الإطار تكثر الآيات التي تبين عدم تحقق هذا الموقف الإيماني المنشود، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا(30)﴾[5]. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[6]. القرآن حق من عند الله، والذين آمنوا هم أتباع هذا الحق: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[7].

إضافة إلى أن طبيعة الإنسان الجاهلي درجت على أن تكون الأهواء والنزوات هي المحرك للنفس.

أما الموقف من الشعر، فقد جاء في إطار نفي أن يكون محمد -عليه الصلاة والسلام- شاعرا، ونفي ما أتى به شعر. ولذلك نجد:

---

[1] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب "مدخل إلى نظرية الأدب العربي"، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000م، ص45.
[2] - سورة النمل 6.
[3] - سورة الإنسان 23.
[4] - سورة الإسراء 9.
[5] - سورة الفرقان 30.
[6] - سورة سبأ 31.
[7] - سورة محمد 6.

- أن الله سبحانه لم يعلّم محمدا الشعر، ولم ولن ييسر له ذلك ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[1]، ولكن الله علم نبيه القرآن ﴿الرَّحْمَنُ(1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2)﴾[2]. و﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(16)إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(17)فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(18)﴾[3].

- يُقسّم القرآن الناس من جهة إتّباعهم فريقين؛ فريقا كافرا اتبع الباطل، وفريقا مؤمنا اتبع الحق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءامنوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[4]، ويصف القرآن أتباع الشعراء و أتباع الشياطين بوصف واحد: "الغاوون"(*). ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224)﴾[5]. ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(42)﴾[6].

- يُفهم من القرآن الكريم أن المضمون الشعري عند الشعراء غير المؤمنين يخضع لنزوات الشاعر وميوله، ولضرورات النظم. فالشاعر يهيم في كل واد يعرض له، ولا يشده الحق إليه، بل ربما يقتاده النظم إلى معان لا يقصد إليها. و جملة القول أن هيجان نفس الشاعر عند الإبداع ربما يُضعف سلطان العقل على القول، فينقاد الشاعر وراء القول[7]. ولعلنا نفهم هذا أكثر عندما نتذكر معنى "الهيام" الذي مر بنا في الفصل الثاني(*).

- يُوصف الشعراء في القرآن الكريم بأنهم ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾. ويبدو أن هذا الحكم خاص بشعر الفخر والمديح والنسيب التي يدّعي فيها الشعراء. ويعني هذا أن لغة الشعر في هذه الأغراض، لغة مكتفية بذاتها، بحيث لا يترتب عليها فعل، إن مضمونها موجود فيها فحسب، والعوالم التي تُنشئها يشكلها النظم ويرسم ملامحها خيال الشاعر وحده[8].

---

1 - سورة يس 69.
2 - سورة الرحمن 1-2.
3 - سورة القيامة 16-18.
4 - سورة محمد 3.
* - ارجع إلى شرح هذه الكلمة في مبحث "المجاز في سورة الشعراء"، من الفصل الثاني، في موضوع الاستعارة التمثيلية، ص89.
5 - سورة الشعراء 224.
6 - سورة الحجر 42.
7 - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص47.
* - ارجع إلى معنى هذه الكلمة في مبحث "المجاز في سورة الشعراء" من الفصل الثاني، في موضوع الاستعارة التمثيلية، ص90 وما بعدها.
8 - المرجع السابق، ص48.

- وفي المقابل يستثني القرآن الكريم من الحكم السابق نفرا من الشعراء حدّد لنا بعض خصائصهم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾. فأولى هذه الصفات،"الإيمان"، ويلحظ في لفظ "الإيمان" معنى الأمان والأمن[1]، والتصديق الذي ضده التكذيب[2]، واطمئنان القلب بالاعتقاد. ثم "عمل الصالحات" الذي يوحي بتحول الاعتقاد إلى فعل. وهذه علامة فارقة بين الشاعر غير المؤمن الذي يقول ولا يفعل، والشاعر المؤمن الذي يعتقد ويعمل بمقتضى عقيدته. أما الدوام على ذكر الله فيفيد بقاء الشاعر مع الحق حتى لا يهيم في أودية الباطل[3].

يستفاد من كل ما تقدم:

1) أن القرآن أثار في نفوس العرب تساؤلات مهمة حول ضرورة التمييز بين التجربة الجمالية المفتقرة إلى الإيمان، والتجربة الإيمانية. فَيُبَيِّن لهم أن الأساس في الشعر أنه يولّد تجربة جمالية يفتقد فيها الإنسان الرؤية الصحيحة، فلا يعود يميز بين حق وباطل. وأن التجربة الإيمانية هي المنشودة عند الشاعر وعند غيره، وقد تجتمع التجربتان عند بعض الشعراء، كما حدث عند شعراء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة[4].

2) لا يعالج القرآن الكريم من شؤون الشعر إلا ما له علاقة بتعطيل التجربة الإيمانية، ونفي أن يكون الرسول -عليه الصلاة السلام- شاعرا، فهو -عليه الصلاة السلام- مُبلّغ وليس شاعرا، والبلاغ يستدعي موقفا إيمانيا، والشعر لا يترتب عليه موقف، لأنه في معظمه قول من دون فعل»[5].

3) يجعل القرآن الكريم "الإيمان" قانونا يحكم بمقتضاه على كل فعاليات الإنسان ومنها الفعالية الفنية، وكل محاولة للتسوية بين "الفن" و"الإيمان" في الدرجة، باطلة وفاسدة، فالفن

---

[1] - الفراهيدي، العين، ج8، مادة (أ.م.ن)، ص388.
[2] - ابن منظور، لسان العرب، ج1، مادة (أ.م.ن)، ص140.
[3] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص48.
[4] - المرجع نفسه، ص48.
[5] - المرجع نفسه، ص48.

شأن صغير من شؤون بعض العباد، والإيمان شأن لرب العباد، ومن ثم فالمقابلة فاسدة[1]. فلا يستقيم أمر الشعر والشعراء إلا باستقامة إيمانهم، فيكون شعرهم في موجات فنية وذبذبات جمالية، مصداقا لعقيدتهم، وما أجمل ما قال شاعر الإسلام محمد إقبال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا[2]

وقبل طي "موقف القرآن من الشعر" أريد الإشارة إلى لفتاتٍ للإمام القرطبي حول آية ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224)﴾. والتي يرى أن فيها ست مسائل[3]:

المسألة الأولى: ذكر الشعراء وما يقولون من كلام لا يتماشى وفطرة الإنسان فهو مردود عليهم عادة وشرعا. وأما ما يقولون عن حسن كلام وصدق معنى فهذا جائز، وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه كان يسمع أشعار الجاهليين فضلا عن الإسلاميين، خاصة شعر أمية بن أبي الصلت، فقد قال فيه عندما سمع أشعاره «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»[4].

المسألة الثانية: ذم الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، ويمدحون الممدوح بما لم يكن فيه، يتكلمون بالباطل، حتى يفضلوا أجبنهم على عنترة وأشحهم على حاتم الطائي، وأن يبهتوا البريء، ويفسقوا التقي، وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء، رغبة في تسلية النفس وتزيين الكلام[5].

المسألة الثالثة: ما روي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا» وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن نسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله صلى الله

---

[1] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص49.
[2] - خالد عباس أسدي، محمد إقبال "قصائد مختارة ودراسات"، د. ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ت، ص90.
[3] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص146.
[4] - المصدر نفسه، ج7، ص146.
[5] - الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري ومدى تأثرها بالقرآن، د. ط، منشورات جامعة باتنة، 1996م، ص39.

عليه وسلم: «خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا»[1].

فالرسول - صلى الله عليه وسلم- انتقد الشاعر نقدا أخلاقيا لأنه اتخذ من الشعر طريقا للتكسب، فأصبح يفرط في المدح إذا أعطي، وفي الهجو والذم إذا منع، فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم. وقد يكون المقصود من الحديث، زيادةً على ما سبق، أولئك الذين تغلب الشعر على حياتهم فأصبحوا والشعر سيان، ناسين الجوانب الأخرى من الحياة، من العمل والإحسان والتقوى.. حتى أصبح الشعر بالنسبة لهم معبودا، فراحوا يغرفون من كل ألوانه دون علم ودراية في كل هذه الألوان[2].

المسألة الرابعة: لم يهمل الإسلام دور الكلمة في شحذ الهمم، ولا في تثبيط العزائم، خاصة في مواجهة العدو، وذلك شبيه بالدعاية سواء كانت مفيدة أو مغرضة. خاصة إذا كانت هذه الكلمة موزونة منمقة ترتقي إلى مصاف الشعر، وذات وقع، كوصفه - صلى الله عليه وسلم- لشعر حسان «أنه لأسرع فيهم من رشق النبل»[3]... وكما يقال "جَرْح اللسان كجرح اليد".

المسألة الخامسة: إن الشعراء لم يكونوا مقطوعي الأصل، بل - في الغالب- يكون معهم أتباعهم وهم الغاوون، الذين هاموا بحب الشعر، فأصبح ضلالهم أشد وأقوى من ضلال الشعراء أنفسهم.

المسألة السادسة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225)﴾، فهم يقولون في كل الفنون وألوانها وينسبون ذلك إلى أنفسهم، فهم بذلك قد وقعوا في لغو الكلام، فأكثرهم يكذبون. فهم يذكرون الحق والكرم وكل مناحي الخير والفلاح والصلاح ولا يأتون ذلك.

---

[1] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص150.
[2] - الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري ومدى تأثرها بالقرآن، ص39-40.
[3] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص151.

وفي ختام هذا الذكر للشعراء الذين يجب الاحتراز منهم، استُثني شعراء المؤمنين كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، ومن كان على منهجهم وطريقتهم في قول الحق إلى يوم الدين[1].

ثانيا: موقف الرسول - صلى الله عليه وسلم- من الشعر والشعراء

عرفنا فيما تقدم أن القرآن الكريم استنكر استنكارا شديدا على من رمى الرسول - صلى الله عليه وسلم- بالشعر، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(41)﴾[2]، ويقول أيضا: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[3]. من هنا ندرك مبعث تجنب النبي - صلى الله عليه وسلم- إنتاج أية صياغة شعرية، وحرصه عند أداء أية صياغة شعرية لشاعر على تغيير نظامها أو الاستشهاد بجزء منها.

فعن الحسن البصري قال: «إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كان يتمثل بهذا البيت: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يارسول الله، كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا. قال أبو بكر أوعمر - رضي الله عنهما- أشهد أنك رسول الله»[4].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يتمثل من الأشعار: ويأتيك بالأخبار من لم تزود... وهذا في شعر طرفة بن العبد في معلقته المشهورة. وهذا المذكور عجز بيت منها أوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار ما لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له ... بتاتا ولم تضرب له وقت موعد[5]

وفي أكثر من مناسبة بيّن الرسول - صلى الله عليه وسلم- أن وظيفة النبي التبليغ، أي إيصال ما تلقاه من ربه، وشتان ما بين وظيفة المبلغ ووظيفة الأديب خطيبا أو شاعرا.

---

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص153.
2 - سورة الحاقة 41.
3 - سورة يس 69.
4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص626.
5 - مفيد قميحة، شرح المعلقات السبع، الطبعة الأخيرة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2000م، ص116.

لكن النبي - صلى الله عليه وسلم- يعرف أن الشعر لصيق بالنفس العربية، ويؤدي في المجتمع العربي وظائف أساسية، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «الشعر كلام من كلام العرب، جزل تتكلم به في بواديها، وتُسل به الضغائن من بينها»[1].

والموقف الإيماني للشاعر هو المنشود قبل كل شيء عند رسول الله، كما هي الحال في القرآن الكريم. والميزان الذي يزن به - صلى الله عليه وسلم- شعر الشعراء هو ميزان الإسلام والإيمان أيا كان حظ الشاعر من الإبداع[2]. روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم- في امرئ القيس: «أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار» يعني شعراء الجاهلية والمشركين[3].

وغير خافٍ أن الموقف الإيماني للشاعر إنما يتصل بالمضمون الشعري أكثر من اتصاله بالشكل، وليس غريبا أن تأتي كل مواقف الرسول - صلى الله عليه وسلم- من الشعر مواجهة للمعاني. ومن هذه الوجهة تُفهم التصحيحات التي يدخلها الرسول على أشعار بعض الشعراء. جاء في الأغاني أنه سمع - صلى الله عليه وسلم- كعب بن مالك يقول:

مقاتلنا عن جذمنا كل فخمة مذربة فيها القوانس تلمع[*].

فقال له: «لا تقل عن جذمنا، ولكن قل: مقاتلنا عن ديننا»[4].

وتوظيف الفعالية الفنية للشعر في نصرة الدعوة أمر واضح في كثير من مواقف الرسول فقد دعا -عليه الصلاة السلام- شعراء الإسلام إلى هجاء المشركين والرد على شعرائهم، وعدّ ذلك ضربا من الجهاد[5]. وتذكر الروايات أنه - صلى الله عليه وسلم- قال للأنصار: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟»، فقال حسان ابن ثابت: أنا لها. وأخذ بطرف لسانه، وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء. فقال: «كيف تهجوهم وأنا منهم؟» فقال: إني أسُلُّكَ منهم كما تُسَلّ الشعرة من العجين. فقال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب يعارضانهم

---

[1] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص18.
[2] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص50.
[3] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص84.
[*] - الجذم: الأصل. الفخمة: الكتيبة العظيمة. القوانس: جمع قونس، أعلى بيضة الحديد.
[4] - الأصفهاني، كتاب الأغاني، م16، ص170.
[5] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص51.

بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيّرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة[1].

ومن هنا يتضح أن النبي - صلى الله عليه وسلم- وظّف الشعر في نصرة الدين وإعلاء شأن الفضيلة والخير، فمن هنا كان الهجاء الذي أيده الرسول - صلى الله عليه وسلم- هو الهجاء الموجه إلى المشركين، والذي يرمي إلى نزع الشرك من النفوس وإزالة هالات التقديس عن آباء وأجداد عاشوا في ظل الوثنية، واكتسبوا مجدهم وسؤددهم بعيدا عن الإيمان[2]. ومثل هذا الهجاء قد يحقق ما لا يحققه القتال بالسيف، فإن للكلمات وقعا على النفوس أشد من وقع الفؤوس. ففي ما يروى عن كعب بن مالك قوله: «قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهجوا المشركين بالشعر، فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل»[3].

ويفهم من كثير من المناسبات أن أحسن الشعر عند النبي صلى الله عليه وسلم أصدقه، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[4].

وتذكر الأخبار أنه - صلى الله عليه وسلم- سمع السيدة عائشة -رضي الله عنها- تنشد شعر زهير بن جناب:

ارفع ضعيفك لا يَحُر بك ضَعفُه يوما فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك فإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال: «صدق يا عائشة، لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[5].

---

[1] - الأصفهاني، كتاب الأغاني، م4، ص142.
[2] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص52.
[3] - ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط3، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر، دمشق، كتاب المناقب، ج6، ص677.
[4] - مسلم، أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، المسمى الجامع الصحيح، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1422هـ 2001م، باب الشعر، ص864.
[5] - ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، كتاب العقد الفريد، شرحه وضبطه ورتب فهارسه ابراهيم الأبياري، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ج5، ص259.

وما يمكن استخلاصه مما تقدم أن خير الشعر عند الرسول - صلى الله عليه وسلم- ما صور حقائق الإسلام والإيمان وعبّر عن حسن الاعتقاد، وكان سلاحا في وجه الكفر والشرك. ففي صحيح مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «ردِفتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يوما، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتا، فقال: هيه، ثم أنشدته، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت»[1]. ويروى أنه - صلى الله عليه وسلم- قال عن شعر أمية: «آمن شعره وقلبه كفر»[2].

ومن هذا القبيل أيضا سروره - صلى الله عليه وسلم- بالشعر الذي يعبر عن حكمة مفيدة أو رأي سديد، فقد أنشد النابغة الجعدي[*] بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قصيدة يقول فيها:

علونا السماء عفة وتكرما وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فغضب النبي - صلى الله عليه وسلم- وقال: «أين المظهر يا أبا ليلى؟» فقال: الجنة بك يا رسول الله، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أجل إن شاء الله»[3].

ثالثا- موقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- من الشعر والشعراء

كان التركيز على ثاني الخلفاء الراشدين، لتمثله روح الإسلام كما طبقه النبي صلى الله عليه وسلم، ولشخصيته الفذة ذات الأبعاد المتعددة، وكذا مدة خلافته الطويلة نسبيا، والتي جاوزت عقدا من الزمن، ولتوفر كتب التراث الأدبي عند العرب كمادة طيبة لاستجلاء موقف عمر بن الخطاب من الفن الشعري.

وقد يكون من المفيد هنا أن نذكّر بحادثة إسلام عمر بعد سماعه شيئا من القرآن. روى الإمام أحمد في مسنده عن عمر قال: «خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قبل

---

[1] - أبو عبد الله الأبّي، شرح صحيح مسلم المسمى "إكمال إكمال المعلم"، د. ط، مكتبة طبرية، الرياض، د. ت، كتاب الشعر، ج6، ص65.

[2] - عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1409هـ 1989م، ج1، ص249.

[*] - هو أبو ليلى قيس بن عبد الله، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله، بن جعدة بن كعب بن ربيعة، وهو شاعر مخضرم أسلم في السنة التاسعة للهجرة، وشهد فتح فارس، وأشهر شعره المدح والهجاء والوصف.

[3] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص42.

أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت: هو شاعر كما قالت قريش، فقرأ: إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، فقلت: كاهن علم ما في نفسي، فقرأ: ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، إلى آخر السورة، قال عمر: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع»[1]. والحق أن لعمر مع القرآن مواقف كثيرة، تفضي كلها إلى أن التجربة الجمالية أساسها الانفعال بلغة القرآن الكريم، والتجربة الإيمانية التي تمثلت في إقباله على الدين الجديد، قد حدثتا في وقت واحد أو متقارب، أو أن طريق الجمال والهداية كان واحدا عند هذا الرجل[2].

ويرى عمر - رضي الله عنه- أن الشعر علم العرب الصحيح، إذ كان يقول: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه»[3]. ويبدو أن عمر كان يشير إلى معنى للشعر قريب من كونه ذاكرة الأمة ووعاء معرفتها. فهو يُقِرّ بكون الشعر مصدرا رئيسا من مصادر المعرفة عند العرب، ولهذا فقد كان يَحُثّ عليه ويوصي ولاته بتعلمه. «فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري: مر من قِبَلَكَ بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب»[4].

فالشعر حسب تصور عمر طريق لتكوين الإنسان الفاضل، فسلطان الشعر غلاّب يقود النفس العربية إلى الفضيلة، و«كأن عمر يرى هنا أن الحق والخير ينبغي أن يُجَمَّلا بحِلْيَة الشعر ويزدانا بزينة الإيقاع»[5]. و لا يعني ذلك أن عمر- رضي الله عنه-أطلق العنان للأخذ من معين الشعر أيا كان هذا المعين، بل لا بد من تحري أجوده و أصدقه، إذ يقول: «أرووا من الشعر أعفه، ومن الأحاديث أحسنها، ومن النسب ما تَوَاصَلون عليه، وتُعرفون به، فرب رحم مجهولة قد عرُفت فوُصلت، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق، وتنهى عن مساويها»[6].

ويُظْهر عمر- رضي الله عنه-دراية عالية، وخبرة واسعة بالشعر والشعراء، من حيث أقدار الشعراء وطرائفهم في التعبير. إذ إنه يعدُّ امرُؤ القيس أول الشعراء الذين فجروا ينابيع

---

[1] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص108.
[2] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص56.
[3] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص18.
[4] - المصدر نفسه، ج1، ص19.
[5] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص57.
[6] - أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، ت. خليل شرف الدين، د. ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1999م، ج1، ص59.

القول وفتحوا أبوب المعاني لغيره من الشعراء، وإن كان في معانيه ما فيها من القبح. فقد سأله العباس بن عبد المطلب عن الشعراء فقال: «امرؤ القيس سابقهم، خَسَفَ لهم عين الشعر، فافتقر عن مَعَانٍ عُورٍ(*) أصحَّ بَصَرٍ»[1].

وكان يرى - رضي الله عنه- أن أشعرَ الشعراء زهير بن أبي سُلمى، لأنه: «كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتتبع حُوشِيّه، و لا يمدح الرجل إلاّ بما فيه»[2]. فالدارسون لشعر زهير يرون «أنه لا يداخل بين مكونات العبارة، بل تمضي تراكيبه على نسق واضح العلاقات، لا تعقيد في كلماته ولا تداخل، مما يسهل إدراك معانيه دون إعنات. ثم إنك لا تجد في أسلوب زهير قصداً إلى غريب الألفاظ، ممَّا عده بعض الشعراء سَيْمَاءَ شاعرية»[3]. وأما كونه -أي زهير- صادقا في مديحه، فيدلل على ذلك ابن رشيق بقوله: «ويشهد لقول عمر - رضي الله عنه- في زهير أنه لا يمدح الرجل إلا بما فيه استحسانا لصدقه ما جاء به الأثر أن رجلاً قال لزهير: إني سمعتك تقول لهرم:

ولأنت أشجع من أسامة إذ دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ في الذَّعَرِ

وأنت لا تكذب في شعرك، فكيف جعلته أشجع من الأسد؟ فقال: إني رأيته فتح مدينة وحده، وما رأيت أسدا فتحها قط. فقد خرَّج لنفسه طريقا إلى الصدق، وبُعدا عن المبالغة»[4].

وكان عمر - رضي الله عنه- ذا خبرة بمقاصد الشعراء التي يقصدون إليها، مع ذلك فقد كان لا يطمئن إلا لذوي الخبرة الواسعة من النُّقدة وكبار الشعراء، و هذا من طبعه، فهو الإمام العادل، إذ لا يصدر حكما إلا عن بصيرة وروية. يذكر صاحب كتاب الأغاني: يقول قيس بن فهد الأنصاري عن عمر: «شهدته وقد أتاه الزِّبْرِقان بن بدر بالحُطيئة فقال: إنه هجاني، قال: وما قال لك؟ قال: قال لي:

---

* - خسف عين الشعر: مأخوذة من الخسيف، وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير، فلا ينقطع.
- افتقر: فتح، مأخوذة من الفقير وهو فم القناة.
- عن معان عور: يعني أن امرأ القيس من اليمن، وأن اليمن ليست فصاحة نزار، ورغم ذلك أتى بمعانيه جيدة.

[1] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص84.
[2] - المصدر نفسه، ج1، ص87-88.
[3] - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص58.
[4] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص88.

دع المكارم، لاترحل لبُغيتها واقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة، فقال: الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس! فقال عمر: علي بحسان، فجيء به، فسأله ، فقال: لم يهجه، ولكن سلَحَ عليه. قال: ويقال إنه سأل لبيدا عن ذلك فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حمر النعم، فأمر به فجُعل في نقير(*) في بئر، ثم ألقي عليه شيء، فقال:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حُمر الحواصل لا ماء ولا شجر

غيّبت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بها الإثر[1]

فأخرجه وقال له: إياك وهجاء الناس، قال: إذا يموت عيالي جوعا، هذا مكسبي ومنه معاشي، قال: فإياك والمقذع من القول، قال: وما المقذع؟ قال: أن تخاير بين الناس، فتقول: فلان خير من فلان، وآل فلان خير من آل فلان. قال: فأنت والله أهجى مني»[2].

فموقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- من الشعر يرتكز على أساس الصدق ويستنير بهدي التصور الإسلامي الذي يسلك طريق الحق والخير وينبذ طريق الغواية والضلال، فكانت المعاني الحكيمة والفكر السامية هي التي تشد عمر إلى الشعر، مما جعله ناقدا ذواقا لفنون الشعر، يصحح حينا ويتعجب أحيانا من أقوال بعض الشعراء، فيذكر صاحب كتاب الأغاني أن عمر - رضي الله عنه- قال: «كذب الحطيئة حيث يقول:

وإن جياد الخيل لا تستفِزُنا ولا جاعلات الرِّيط(**) فوق المعاصم

لو ترك هذا أحد لتركه رسول الله، صلى الله عليه وسلم»[3].

---

* - النقير: ما نُقر من حجر أو خشب ونحوهما.

1 - جرول بن أوس بن مالك، الحطيئة، ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ 1998م، ص153.

2 - الأصفهاني، كتاب الأغاني، م2، ص155-156.

** - جاعلات الريط: كناية عن النساء، والريط جمع ريطة وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد، أو كل ثوب بين رقيق.

3 - الأصفهاني، كتاب الأغاني، م2، ص148.

ويذكر أيضا من أن «عمر بن الخطاب أنشد قول الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

فقال عمر: كذب، بل تلك نار موسى -عليه السلام-»[1].

والأخبار تذكر أن ابن الخطاب كان يتعجب من قول زهير بن أبي سُلمى:

فإن الحق مقطعه ثلاث أداء أو نفار أو جلاء[*]

وسُمي زهير "قاضي الشعراء" بهذا البيت[2].

كما كان يعجب بقول عبدة بن الطيب:

المرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح، وإشفاق، وتأميل

ويقول: «على هذا بُنيت الدنيا»[3].

وقبل أن نسدل الستار على موقف عمر بن الخطاب من الشعر وددت ذكر بعض من شعره:

هوّن عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها

فليس يأتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها[4]

ومن شعره أيضا، وقد لبس بردا جديدا فنظر الناس إليه، وقد رُوي لورقة بن نوفل في أبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويفنى المال والولد

---

[1] - الأصفهاني، المصدر نفسه، م2، ص168.
[*] - النفار: الحكومة. الجلاء: العذر الواضح.
[2] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص44.
[3] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص37.
[4] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص23.

لم تُغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمانُ إذ تجري الرياح له ... والجن والإنس فيما بينها ترد

حوض هنالك مورود بلا كذبٍ ... لابد من ورده يوما كما وردوا[1].

ومن شعره أيضا، رضي الله عنه:

توعدني كعب ثلاثا يعدّها ... ولاشك أن القول ما قال لي كعب

وما بي خوف الموت إني لميت ... ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب[2]

[1] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص23.
[2] - المصدر نفسه، ج1، ص23.

المبحث الثاني: أثر الإعجاز القرآني في تطور الحركة النقدية

كان من الطبيعي بعد أن توسعت الفتوحات الإسلامية، ودخل في الدين الجديد عرب وفرس وهنود وغيرهم، وبدأت الأفكار تتضارب، فلسفية أم عقائدية، أضحى السؤال المطروح بإلحاح: أين يكمن إعجاز القرآن؟.

وكان ممن تصدى للإجابة عن ذلك فئة من المعتزلة على رأسها إبراهيم بن سيار النظام، الذي يرى أن إعجاز القرآن ليس في بيانه أو نظمه وإنما في إخباره عن الغيوب. ورفع في الوقت نفسه لواء القول بالصرفة، الذي يرى بأن بيان القرآن بيان عربي عادٍ في استطاعة العرب أن يأتوا بمثله لولا أن الله صرف عقولهم عنه، ومنعهم من الاهتمام به جبرا وتعجيزا، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة مثله بلاغة وفصاحة ونظما[1].

ولكن رأي النظام لم يكتب له الذيوع بين العلماء لمخالفته طبيعة الأمور، فقد خالفه المعتزلة أنفسهم وعارضوه، وأقاموا لأنفسهم دعاة لإعجاز القرآن البياني. وأول من خرج على النظام تلميذه الجاحظ[2]. من ذلك الوقت برزت على الساحة الفكرية دراسات الإعجاز بين دراسات النقد، بل صارت قطبا تدور حوله، وكانت اتجاهات العلماء في دراسات الإعجاز ذات أثر كبير في تطوره. ومن هذه الدراسات ظهرت مؤلفات ككتاب (نظم القرآن) للجاحظ والذي هو مفقود، و(النكت في إعجاز القرآن) للرماني، و(بيان إعجاز القرآن) للخطابي، و(إعجاز القرآن) للباقلاني، و(دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني[*]، فكانت هذه المؤلفات تبحث في مجملها عن سر إعجاز القرآن، وفي الأخير أفضت إلى نتيجة مشتركة وهي أن الإعجاز يبرز في تفوق النص القرآني، بما يحمله النص من دلالة، فكان البحث عن سر إعجاز القرآن أمرا مقصودا من قبل هؤلاء الدارسين، هذا من جانب، أما من جانب آخر فكان غير مقصود، وهذا

---

[1] - محمد، زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص70.

[2] - المرجع نفسه، ص71.

[*] - أشرنا إلى هذه المؤلفات في المبحث الأول من الفصل الأول.

ما تمثل في مشاركتهم الفعلية في صميم النقد سواء بآراء نظرية تتعلق بالمباحث البلاغية، اللفظ والمعنى، الأسلوب، عمود الشعر...، أو بممارسات تطبيقية، يقومون من خلالها بتحليل نصوص شعرية وحتى قرآنية، يتقمصون من خلالها دور الناقد الحقيقي من غير أن يقصدوا ذلك.

وفي مبحثنا هذا نعرج على ذكر ما تركه الإعجاز القرآني من أثر إيجابي في تطور النقد العربي مرتكزين على مستوى اللفظ والمعنى ومستوى التركيب وذلك عند دارسي الإعجاز القرآني، وأخص بالذكر الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني.

أ- مستوى اللفظ والمعنى

1- الرماني ومسألة اللفظ والمعنى:

رأى الرماني في أثناء بحثه في الإعجاز أن المزية لا تكمن في المعنى ولكن في صورة اللفظ، فالبلاغة بالنسبة إليه ليست «إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان، أحدهما بليغ والآخر عيي، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى... إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»[1]. وأول ما يلفت الانتباه في هذا الكلام، الاستقلال التام لكل من اللفظ والمعنى، لأن المعنى الواحد يمكن أن يقدم للسامع أو القارئ من خلال أكثر من صورة لفظية، والمعنى لا يتعدل مع انتقاله من صورة إلى أخرى. ما يتعدل هو اللفظ وحده، واللفظ متفاوت الدرجات ما بين القبح والجمال[2]. ويضرب الرماني مثلا عن القبح في الصورة اللفظية «قول السوادي وقد سُئل عن أتان معه، فقيل له: ما تصنع بها؟ فقال: أحبُلها وتولد لي »[3]. ثم يناقش المستوى البياني قائلا: «هذا كلام قبيح فاسد وأن قد فُهم به المراد و أبان عن معنى الجواب»[4]. لقد عدّ الرماني جواب السوادي مثلا للصورة اللفظية القبيحة، رغم أن المراد فُهم ، و يبقى الإلتباس الحاصل حول الفاعل الحقيقي لفعل"أحبل". و إذا كان مصدر الإلتباس هو اللفظ، فإن المعنى الذي قدمته عبارة السواديّ ليس المعنى المقصود نفسه، بل هو معنى آخر يقوم على الاحتمال و الشك بالنسبة إلى الفاعل و لا يقوم على اليقين[5].

---

[1] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص75-76.
[2] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ط1، دار المشرق، بيروت، 1992، ص60.
[3] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص106.
[4] - المصدر نفسه، ص106.
[5] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص61.

وفي المقابل يعطي مثالا على جمال اللفظ وصحة معناه، كقول علي بن طالب «قيمة كل امرىء ما يحسن»[1]. يعلق على هذا القول بقوله: «فهذا كلام عجيب يغني ظهور حسنه عن وصفه»[2].

والرماني لم يعالج مسألة اللفظ والمعنى في مبحث خاص، بل كان يُلمح إليها حين يقتضي الإعجاز ذلك، و هو يميل إلى رئاسة المعنى، وذلك حين تحديده للفواصل التي قال عنها: إنها «حروف متشاكلة في المقاطع توجبُ حسن إفهام المعنى»[3]. والسر الذي يوجب ذلك الحسن هو: «إن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»[4]. بل أكثر من ذلك عدَّ الفواصل بلاغة والأسجاع عيبا[5]، ويؤكد رئاسة المعاني على الألفاظ في قوله: «الغرض الذي هو حكمة، إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة»[6]. ويرى أن المعنى الذي يقدمه السجع لا يعتد به «لما تكلف من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه»[7].

و يؤكد الرماني أن «الأسماء و الصفات متناهية..» أما دلالة «التأليف فليس لها نهاية... ولهذا صار التحدي فيها بالمعارضة لتظهر المعجزة»[8]. ذلك، لأنها تشير إلى الطريقة التي تستطيع بها أية لغة أن تعبر بألفاظها المحدودة عن انبساط المعاني وامتدادها إلى غير نهاية. فهو يضع يده على مسألة مهمة يسجل باكتشافها إسهاما أساسيا في عالم البيان[9]. وخلال معالجته لعلاقة اللفظ بالمعنى، ينتبه الرماني إلى قصور اللغة في التعبير بواسطة الدلالة الوضعية لألفاظها عن ذلك الامتداد اللامتناهي للمعاني، فهي بحاجة إلى المجاز، لتوسيع مدلولاتها،

---

1 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص78.
2 - المصدر نفسه، ص78.
3 - المصدر نفسه، ص97.
4 - المصدر نفسه، ص97.
5 - المصدر نفسه، ص97.
6 - المصدر نفسه، ص97.
7 - المصدر نفسه، ص97.
8 - المصدر نفسه، ص107.
9 - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص62-63.

خصوصا وأن كل استعارة حسنة بالنسبة إليه[1] «توجب بيانا لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة، كانت أولى به، ولم تجز الاستعارة»[2].

وقد أعطى على الاستعارة القرآنية أمثلة في رسالته[*]، فالناقد وهو يدرس تلك الاستعارة القرآنية يجد نفسه أمام نصوص جديدة وقواعد ثابتة تفرض عليه أن يستعمل كل مداركه الحسية والمعنوية للوصول إلى سحر القرآن العجيب المكنون في كل لفظة من آياته وفي كل آية من سوره.

2- الخطابي ومسألة اللفظ والمعنى:

يرى الخطابي أن المزية لا تكون في اللفظ وحده، ولا في المعنى وحده، ولكنها تنتظم الاثنان معا بالإضافة إلى التركيب. فيقوم الكلام عنده بأمور ثلاثة: «لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم»[3].

فالمعنى عنده محكوم باللفظ، لأنه محمول به ولا يمكنه أن يكون فوق ما يسعه. وهو مقيد من جهة أخرى بما يفرضه الرباط من علاقة بينه وبين اللفظ.

ومن ناحية أخرى يرى الخطابي أن هناك عاملا آخر يؤدي دورا هاما في إدخال المعنى حيز الإبداع. إذ يقول: «أما المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد، لأنها نتاج العقول وولائد الإفهام وبنات الأفكار»[4]، خصوصا وأن مقياس تلك المعاني هو «التقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها»[5]. والتقدم والترقي هما السبق على سلم الفصاحة الذي ألح عليه النقد العربي منذ جاهليته وتربى في أحضانه[6]. يؤكد ذلك حديثه -أي الخطابي- عن أصح المعاني وأسماها التي ساهمت في تكوين إعجاز القرآن، وهي

---

[1] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص63.
[2] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص86.
[*] - ارجع إلى تلك الأمثلة في المبحث الأول من الفصل الأول.
[3] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص27.
[4] - الخطابي، المصدر نفسه، ص36.
[5] - الخطابي، المصدر نفسه، ص27.
[6] - علي مهدي زيتون، المرجع السابق، ص64.

«توحيدٌ له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها»[1].

لقد نظر الخطابي إلى المعاني من زاويتين: من حيث هي نتاج العقل، ومن حيث مشاركتها في بنية الكلام. ولعل مكمن الإبداع بالنسبة إليه، هو المواءمة والتوافق بين النظرتين.

يجب أن تكون المعاني صحيحة مع خضوعها للفظ والنظم في عملية إنشاء الكلام. والصحة هي المقياس الذي خلص إليه الخطابي في أثناء حديثه عن وجه الإعجاز، ويرتبط هذا المقياس بالحقيقة أكثر من ارتباطه بالجمال. ولعل هذا الموقف مرتبط بالجدل التاريخي الدائر حول حدود كل من الجمال والحقيقة في عملية الخلق الأدبي[2].

ويذهب الخطابي إلى أن عمود البلاغة «هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه، إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»[3]. فهذا الكلام ينم عن فهمه أن المزية في القدرة على الإحاطة بأسماء اللغة وألفاظها، والدقة في حسن استخدامها في المواضع التي يتطلبها الكلام[4].

كما تنبه الخطابي إلى أمر مهم يتعلق بدلالة الألفاظ، ألا وهو بنية اللغة القائمة على التضاد، إذ يقول: «وحقيقة البيان في هذا أن العلم ضده الجهل، والمعرفة ضدها النكرة، والحمد والشكر قد يشتركان أيضا، ... وإذا أردت أن تتبين حقيقة الفرق بينهما، اعتبرت كل واحد منهما بضده، وذلك أن ضد الحمد الذم، وضد الشكر الكفران»[5]. وهذا يشبه إلى حد بعيد ما نادت به

---

[1] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص27-28.
[2] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص64.
[3] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص29.
[4] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص65.
[5] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص30.

النظريات الحديثة حول بنية اللغة، والمتحكم بها عامل التضاد، كما أشار إلى ذلك سوسير "Saussure" بقوله: «لا وجود في اللغة إلا للاختلافات»[1].

ومهما يكن، فإن الخطابي قد بذل جهودا لا يمكن إنكارها في دراسة "الدال والمدلول" وإغنائها، فإننا نستطيع القول: إنه من خلال ثلاث إشارات له هي:

- بنية اللغة القائمة على التضاد.
- وعجز اللسان عن الإحاطة بألفاظها.
- وكيفية استخدام مفرداتها.

استطاع أن ينظر إلى اللغة نظرة علمية موضوعية تنم عن فهم جديد لعلاقة النتاج الأدبي باللغة. حيث يواجه الإنسان في عملية الخلق الأدبي حقلا مطالبا باستغلال إمكاناته[2]. وبحق يعد جهده هذا، مرجعا أساسيا لكل الدارسين على اختلاف اتجاهاتهم ومستوياتهم، كذلك لكل النقاد، فهي قد أعطت للنقد زادا قويا وسلاحا ثابتا يستعمله الناقد ليكشف ما استعصى عليه من قضايا نقدية خاصة بالجانب اللغوي وأثر الكلمة في النص الأدبي... وعلاقة المعاني بالكلمات والترابط العضوي القائم بينهما، حيث لا يفصلهما فاصل ولا يؤثر فيهما، فالألفاظ جسد والمعاني روح، وكل منهما يكمل صاحبه، فالألفاظ بدون معاني كتل جامدة لا يرجى منها الحياة، والمعاني بدون ألفاظ تصورات وخيالات لا يرتقب منها الأثر العملي في الميدان[3].

وما قدمه الخطابي هو دليل على تفوق النص القرآني، ومن هنا شق طريقا للأسلوبية في حقبة غابرة من الزمن، سواء كان عن قصد أم بغير قصد، فما أشد الشبه بين صوته ذاك بصوت "عبد السلام المسدّي" في زمننا الحديث حيث يقول عن الإنسان: «إنه عاجز عن أن يلم بكل طرائقها ومجموع نواميسها وكلية إشكالها كمعطى موضوعي ماورائي في نفس الوقت، بل إنه عاجز أن يحفظ اللغة شموليا»[4].

---

[1] - سوسير فرديناند، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م، ص145.
[2] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص66.
[3] - الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه، ص209.
[4] - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط2، الدار العربية للكتاب، د. م، 1982م، ص106.

3- عبد القاهر الجرجاني ومسألة اللفظ والمعنى:

ينطلق عبد القاهر من اعتبار الكلام معنى قائما في النفس في تحديد المزية التي يقوم عليها الإعجاز، فيرفض أن تكون في اللفظ[1]، مناقشا سابقيه، ليخلص إلى نتيجة مفادها أن المزية «من حيز المعاني دون الألفاظ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك، وتعمل رويّتك وتراجع عقلك، وتستنجد في الجملة فهمك»[2].

فيبدو من تعداده للقوى النفسية التي يتحكم إليها في هذا الأمر (القلب والفكر والروية والعقل ...)، أن الأمر يتعلق بالفهم والاستيعاب، أي الدلالة[3]، وأكد هذا الأمر حين فسر كيف تكون الكناية أبلغ من التصريح، فليس المعنى في ذلك «أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد»[4]. ولعل هذا ما يفسر لنا البلاغة العربية تفسيرا دقيقا بربطها بالمعنى اللغوي لكلمة "بلاغة" وتتلخص بالقدرة على التعبير والتعاطي مع اللغة بطواعية متناهية، بعيدا عن كل ما علق من تفاسير تقوم على الزخرف والتفنن والمحسنات الخارجية[5].

ويرى عبد القاهر أن اللفظ تابع للمعنى ضرورة، إذ الألفاظ أوعية للمعاني. وهي أدواتنا لفهم هذه المعاني. فإذا وجب المعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق[6]، فلا يُتصور أن يعرف المرء للفظ موضعا من غير أن يعرف معناه، ولا أن يتوخى في الألفاظ، من حيث هي ألفاظ، ترتيبا ونظما، وإنما يتوخى الترتيب في المعاني. فإذا تم ذلك تبعتها الألفاظ وقفت آثارها[7]، «إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بواقع المعاني في النفس، علم بواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق»[8].

---

1 - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص50.
2 - المصدر نفسه، ص51.
3 - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص71.
4 - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص56.
5 - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص71.
6 - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص43.
7 - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، د. ط، دار العودة، بيروت، 1986م، ص272.
8 - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص44.

فتكون أهمية الألفاظ إذن من حيث موقعها من الجمل، بصفتها الوسائل التي بها يؤدى المعنى، ولا أهمية لها في ذاتها. ويبرز ذلك في تأليف الكلام وحسن صياغته. فقد رأى عبد القاهر أن لكل معنى صورة واحدة في اللفظ لا يمكنه أن يتلبس غيرها، لأن التقديم والتأخير[1]، والتنكير والتعريف[2]، والإخبار بالاسم أو الفعل[3]، وكل تحريك في اللفظ يقتضي تحولا وتغييرا في المعنى، ولا يوجد للمعنى الواحد أكثر من لباس[4]. ويعد هذا الرأي بحق إسهاما ذا شأن في تطوير النقد الأدبي ليس العربي فحسب، بل العالمي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص83-85.
[2] - المصدر نفسه، ص109-126.
[3] - المصدر نفسه، ص132.
[4] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص72.

المبحث الثالث: مستوى التركيب

1- الرماني ومسالة التركيب:

يمكننا الاستعانة بالتقسيم الذي اعتمدته الألسنية الحديثة، لما يقدمه من دقة منهجية ووضوح، فهي -أي الألسنية- تدرس التركيب من خلال عدة مكونات أهمها:

- **المكون الصوتي:** أو التنظيم الصوتي الذي يفسر لنا الأصوات ويوزعها بشكل لا يتعارض فيه صوت مع صوت. والتنظيم الدلالي الذي يفسر لنا معاني هذه البُنى، والتنظيم الجملي الذي يجعل من المفردات سياقا مترابطا وتركيبا متماسكا، وهو التنظيم التوليدي الوحيد الذي يصف البنية العميقة للجمل ويعدد عناصرها المؤلفة، ويسمح بتكوّن الجمل الأصولية[1].

أما من حيث المستوى الصوتي، مثلا، فقد رأى الرماني أن البلاغة هي: «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»[2]. فهذا الكلام يعني التركيز على الجانب الصوتي من اللفظ وعلى صورته الحسنة بالذات. فلم يكن همّ الرماني البنية الصوتية للتركيب بشكلها المطلق، ولكن ما حسنت صورته من تلك البنية. وكيف تكون صورة اللفظ حسنة؟ والجواب لدى الرماني الإتكاء على "التلاؤم"، وهذا الأخير هو ما شغل الباحثين في المسائل الصوتية منذ البداية. فللأصوات كما هو معلوم، مخارج وصفات تتحكم في الصوت نطقا وسماعا ووقعا على النفوس. وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مُدرك بالحس وموجود باللفظ[3]، ثم يعقب في حديثه الذي يتوصل من خلاله إلى قاعدة جمالية علمية في ميدان التآلف والتنافر بين الحروف بحسب مخارج أصواتها وما يتركه ذلك من تعب ومعاناة لجهاز النطق. فيقول: «فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام، وكذلك

---

[1] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص73.
[2] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص75-76.
[3] - المصدر نفسه، ص78.

الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام. فاجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن، وإن كان الأول بليغا حسنا»[1].

ومن جهة أخرى فإن الرماني عمد إلى مقارنة كلمة "التلاؤم" بضدها من أجل توضيح دلالتها أكثر. فـ«التلاؤم نقيض التنافر»[2]. ولم يكتف بالتضاد للتعريف بالتلاؤم، بل ذهب أبعد من ذلك فـ«التلاؤم تعديل الحروف في التأليف»[3]، أي توزيع معين لها تضبطه كلمة "تعديل" ضبطا دقيقا، يبين معناها الرماني شارحا وممثلا، بقوله: فالتأليف «على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا»[4]. ونلحظ هذا التنافر من خلال ما مثل به الرماني بقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر[5]

فالشاعر أراد أن يوضح معنى علق بذهنه وبخبر مفاده أن حربًا قبره بمكان خال وليس حوله أي قبر من قبور الموتى، فكرر كلمة "قبر" ثلاث مرات وذكر "القفر" مرة واحدة، فيكون مجموع حروف الراء التي استعملها سبعة، ومجموع حروف القاف خمسة[6].

ففساد صورة الكلمة أو الجملة وذهاب رونقها، وظهورها في صورة قبيحة، وانفلات حسن صوتها، عائد في رأي الرماني إلى التنافر في الحروف التي تشكل الكلمة، هذا التنافر يلاحظ في أن كلا من حروف الراء والباء والقاف التي تكررت في البيت بشكل مكثف، والتي أحدثت التعتعة عند النطق، تعود كلها إلى أنها من حروف الذلاقة، فالقاف مخرجه من أقصى اللسان، والباء مخرجه من الشفتين، والراء من ظهر اللسان، فخروج الحرفين من أقصى اللسان أحدث ثقلا في النطق، مما أدى إلى التعتعة في النطق[7].

ويمثل بعدها للتلاؤم من الطبقة الوسطى بثلاثة أبيات لأبي حية النميري[*]:

---

1 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص78.
2 - المصدر نفسه، ص94.
3 - المصدر نفسه، ص94.
4 - المصدر نفسه، ص94-95.
5 - المصدر نفسه، ص95.
6 - الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه، ص152.
7 - المرجع نفسه، ص153.
* - هو الهيثم بن الربيع، شاعر من أهل البصرة، من مخضرمي الدولتين -الأموية والعباسية- توفي سنة 158هـ.

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية أرام الكناس رميم
رميم التي قالت لجيران بيتها ضمنت لكم ألا يزال يهيم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم[1].

فاختيار الرماني لهذه الأبيات لم يكن اختيارا عفويا، بل جاء من باب الانتقاء على أساس حسن أداء الكلمات للمعاني التي حملتها، يضاف إلى ذلك الغرض الذي تناوله الشاعر وصاغه في شكل حوار بين خليل وخليلته، إلا أنها لا تحتوي أية بنية صوتية[2]، تشد إليها المتلقي وتأسره بإيقاع حروفها.

فأما الطبقتان الأولى والثانية، فخاصتان بكلام البشر، وأما الطبقة الثالثة هي معجزة، حيث أشار إلى أن «المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله»[3]. ويبين الرماني أن السبب الذي يجعل بعض الحروف متنافرة هو «البعد الشديد أو القرب الشديد»[4] في المخارج، فيعود ليشرح لنا قصده بكلمة "تعديل"، حيث يقول: «التلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب»[5]، والمقياس الذي من خلاله نتعرف بواسطته إلى التلاؤم، ودرجاته، هو أنه «يظهر بسهولته على اللسان، وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع»[6]. والملاحظ على قوله الأخير أن هذا المقياس قسمان: قسم حسي يتعلق بخروج الصوت ووقعه على الأذن، والقسم الثاني نفسي. ومهما يكن من أمر فإن الرماني قد وضع الخطوط العريضة لما سيسمى بفصاحة الكلام التي وقفها عند الخفاجي وقفة مسهبة.

- **المستوى الدلالي:** تحدث الرماني عن حركية التأليف في تكوين الدلالة حيث قال: إن «دلالة الأسماء والصفات متناهية، فأما دلالة التأليف فليس لها نهاية»[7]. ويعد هذا الكلام وصفا صائبا ومبكرا لحقيقة اللغة القائمة على محدودية في عدد ألفاظها التي تواضع الناس على

[1] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص95.
[2] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الادبي، ص74.
[3] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص95.
[4] - المصدر نفسه، ص96.
[5] - المصدر نفسه، ص96.
[6] - المصدر نفسه، ص96
[7] - المصدر نفسه، ص107.

دلالتها، وعلى إمكانية متفتحة باستمرار وقادرة بلا حدود على التعبير عن تيار المعاني المتجدد، وذلك بواسطة التأليف[1].

فرأي الرماني مرتبط بطبيعة التعبير، إذ يسترْعي الإسناد أبسط أشكال التأليف، فكلما تعددت العلاقات القائمة بين المسند والمسند إليه من جهة، وبينها -أي اللغة- وبين النفس البشرية من جهة أخرى، فأضحت غير محدودة، كان التأليف غير متناه. إذ يقول الرماني في معرض تعليقه على الآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[2]: «لو قيل يحسبه "الرائي" ماء ثم يظهر إنه على خلاف ما قدر لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن لأن "الظمآن" أشد حرصا عليه وتعلق قلبه به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار»[3].

هكذا تحدث الرماني في ثوب ناقد «عن الإسناد وما يرافق البدائل من ملابسات تحيط بها، فتوجه الدلالة توجيها يرتفع إلى درجة الإعجاز كما في القرآن، أو ينخفض بها إلى مستويات متناسبة مع طاقة البشر»[4].

2- الخطابي ومسألة التركيب

يرى الخطابي أن مقومات الكلام ثلاثة، «لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم»[5]. وامتداد الرباط الناظم ليس امتدادا داخل الكلمة الواحدة فحسب، ولكنه خارجي يقوم بدور ذي وجهين: إذ إنه في الوقت الذي يصل الألفاظ بعضها ببعض إنما يصل فيه المعاني بعضها ببعض أيضا[6].

ولهذا فهو يوضح هذا المعنى بقوله: «وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له

---

[1] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص75.
[2] - سورة النور 39.
[3] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص82.
[4] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص76.
[5] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص27.
[6] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص76.

صورة في النفس يتشكل بها البيان»[1]، ولئن أشار هذا الكلام إلى شيء إنما أشار إلى المكونات الثلاثة التي يقوم عليها التركيب: المكون الصوتي ، والمكون الدلالي، والمكون التركيبي[2].

وحتى وإن لم تكن المرحلة الزمنية التي عاش فيها الخطابي قد وضح فيها مثل هذا المنهج الذي وصلت إليه الدراسات الأسلوبية الحديثة، إلا إنه تناول منها ما له علاقة بالإعجاز، حيث يُلمح إلى المكون الصوتي عند حديثه عن الطبقات الثلاث التي تتوزع الكلام . فأعلى الطبقات وأرفعها طبقة الكلام البليغ الرصين الجزل، وأوسطها طبقة الكلام الفصيح القريب السهل، و أقربها وأدناها طبقة الكلام الجائز الطلق والرسل[3]. ويَعُدّ بلاغة القرآن هي التي حازت من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من هذه الأنواع شعبة «فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة»[4]،

ولعل ما سبق من قول الخطابي يوحي لنا بأنه يعالج أمور المكون الصوتي للتركيب القرآني، خصوصا وأن تركيزه على السهولة التي تُنتج العذوبة والوعورة التي تعالج بالجزالة والمتانة[5]، ويُشيع في نفوسنا أجواء الصوت والدلالة. ولا يعني ذلك أن الخطابي قد أهمل المكون الدلالي، خاصة عند اعتباره بأن اللفظ المفرد ذو شأن في عالم التركيب. وذلك حين أعلن: «إن عمود البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه، إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»[6]. فما أشار إليه الخطابي يعد ركيزة من ركائز البيان العربي، فإذا لم يطبق بدقة وقع الاختلال في الكلام فيفسده ويذهب رونقه، و منه سقوط البلاغة، خاصة و«أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة مراد الخطاب كالعلم و المعرفة والحمد

---

[1] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص36.
[2] - علي مهدي زيتون، إعجاز القران واثره في تطور النقد الادبي، ص76.
[3] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص26.
[4] - المصدر نفسه، ص26.
[5] - المصدر نفسه، ص26.
[6] - المصدر نفسه، ص26.

والشكر... لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا يشتركان في بعضها»[1]. ويسوق الخطابي لذلك مثالا عمليا على قوله، «على أننا عندما نقول: عرفت الشيء وعلمته إذا أردت الإثبات الذي يرتفع منه الجهل، إلا إن التعبير بـ"عرفت" يقتضي مفعولا واحدا، كأن تقول: عرفت زيدا عاملا. لذلك صارت المعرفة تستعمل خصيصا في توحيد الله ولا تقول علمت الله، إلا إذا أضيف إليه صفة من الصفات، كأن تقول: علمت الله عدلا، وعلمته قادرا، وعلمته برا، وعلمته رحيما. وحقيقة البيان في المفردتين "العلم" و"المعرفة". فالعلم ضده الجهل، والمعرفة ضدها النكرة»[2]. وهكذا لا يكتفي الخطابي بهذا القدر من الحديث عن وضعية الألفاظ الدلالية في بنية الجملة، بل يقف عند الإسناد فيرد على أولئك الذين عابوا إسناد فعل (الأكل) للذئب في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾[3]. بقوله: «إن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرَس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا، و أتى على جميع أجزائه و أعضائه، فلم يترك مفصلا ولا عظما، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى»[4].

وهكذا استطاع الخطابي أن يدافع دفاعا حسنا عن الإسناد في القرآن. و مهما يكن من أمر، فإن إسهاماته في مجال التركيب جد معتبرة، في مجال الدراسات اللغوية بشكل واسع.

3- عبد القاهر الجرجاني ومسألة التركيب

جاء عبد القاهر بمفاهيم جديدة للعديد من المسائل، وإن كان موافقا سابقيه في بعض الجزئيات، فهو يرى أن التحديد المجمل لمسألة من المسائل غير كاف في معرفتها، ذلك أنه «لو كان قول القائل لك في تفسير الفصاحة أنها خصوصية في نظم الكلم وضم بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة... وما أشبه ذلك من القول المجمل كافيا في معرفتها ومغنيا في العلم

---

[1] - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص26.
[2] - المصدر نفسه، ص30.
[3] - سورة يوسف 17.
[4] - المصدر السابق، ص41.

بها، لكفى مثله في معرفة الصناعات كلها، فكان يكفي في معرفة نسج الكثير من التصاوير أن تتعلم أنه ترتيب للغزل على وجه مخصوص»[1]. فهو يتصور أن الفصاحة تكون في تلك العملية الفكرية التي تصنع تركيبا من عدة ألفاظ، وليست في اللفظة منفردة[2]. فيكون بذلك إلى توخي «الترتيب في المعاني... فإذا تم لك ذلك اتبعتَها الألفاظ وقفوتَ بها آثارها، وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم إنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق»[3].

ويذهب إلى أبعد من ذلك في توضيح الأمر، إذ «فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب اللفظ الدالّ عليه أن يكون أولا في النطق»[4]. لقد تحدث عن آلية عجيبة تتحكم في الألفاظ، وهذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه فكر يرى أن الكلام معنى قائم في النفس[5]. وهذا من جملة الحقائق التي توصل إليها عبد القاهر إذ «إن اللفظ في خدمة الموقف الذي يثار، فنحن حين نكتب لا نجمع ألفاظا ونضعها الواحدة بجوار الأخرى وإنما نعبر عن معان، ومن ثم كانت الألفاظ وسيلة رمزية لإثارة المواقف وليست هدفا في ذاتها. ونجاح الألفاظ ليس في شكلها الخارجي، وإنما جمالها ونجاحها في قدرتها على توليد المواقف المطلوبة أو في الإفصاح عن المعنى المراد أداؤه»[6].

فكانت المعاني -إذن- في رأي عبد القاهر هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف وليست الألفاظ. فهاهو ذا يحدد المراد من النظم فيقول: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله. وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخِل بشيء منها»[7]. ويؤكد ما تقدم بقوله: «فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا أو خطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل

---

[1] - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص30.
[2] - إحسان عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب، ط5، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1406هـ 1986م، ص322.
[3] - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص44.
[4] - المصدر نفسه، ص43.
[5] - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص81.
[6] - محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص317.
[7] - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص64.

بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له»[1]. فللحكم على مدى الصواب والخطأ في النظم، فإن عبد القاهر قد ذهب أبعد من قاعدة النحو المعروفة، والتي يرى فيها بأن الكثير من الناس في إمكانه تطبيقها وذلك بـ«أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا له أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر»[2]. بل ينطلق إلى فضاء أوسع ونحو نمط جديد، وهو ما تعلق بقضايا التقديم والتأخير والفصل والوصل والإظهار والإضمار والاستفهام والنفي، أي استقراء الجانب الدلالي من النحو المعروف، أو ما يشير إليه عبد القاهر بـ"نحو المعاني" والذي أصبح بعده يعرف بـ"علم المعاني". ولهذا نراه يعلق تعليقا جميلا فيه الكثير من الإعجاب وهو يسوق هذه الأبيات للبحتري:

بلونا ضرائب من قد نرى ... فما إن رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له محادثا ... ت عزما وشيكا ورأيا صليبا
تنقل في خلقي سؤدد ... سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف إن جئته صارخا ... وكالبحر إن جئته مستثيبا

«فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازا في نفسك، فعد فانظر في السبب، واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأخر، وعرّف وأنكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرر، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله»[3].

وأخيرا فإن نظرية عبد القاهر في النظم (أو التأليف) كانت إنكارا لتلك الثنائية المضللة "اللفظ والمعنى"، وعودة إلى الوحدة، أي أن يعنى الناقد برؤية الصورة مجتمعة من الطرفين معا دون فصل بينهما... ويقلل من الانحياز إلى اللفظة المفردة، ويمنح المعنى من داخل الصورة المركبة قيمة كبرى، غير أن مصطلح "المعنى" لديه لم يبق كما كان من ذي قبل، بل أصبح يعني "الدلالة" الكلية المستمدة من الوحدة[4]، أي وحدة اللفظ بالمعنى.

---

[1] - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص65.
[2] - المصدر نفسه، ص44.
[3] - المصدر نفسه، ص83-84.
[4] - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص427.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمـــــــة

من خلال هذه الرحلة الشائقة والشيقة مع موضوع "التصوير البياني في سورة الشعراء"، توصلت إلى جملة من النتائج تمثلت في:

- أن التصوير في القرآن وسيلة مقدمة ومفضلة، كونها تقرب المعنى، وتجلو الغامض، وتكشف أغوار الكلمات وأسرارها، فتجعل المتلقي واقفا أمام الصورة، بل أمام الحدث وكأنه جزء منه، مشارك فيه، مرئي أمامه ليس غيبيا عنه، وربما هذا ما جعل القرآن يعمد إلى استعمال جميع أدوات هذا التصوير، من تحكم في الألوان، ومن ظل، ونور، وظلام.

- اعتمد القرآن الكريم في إبراز الصورة البيانية إلى الاتكاء على العناصر التي تحفل بها الطبيعة، والتي يحيى فيها ومعها الإنسان، من جبال، وأشجار، وبحار، وأرض، وأنهار، وأنعام، وتعاقب لليل والنهار، وجريان للشمس والقمر، وعسعسة لليل وتنفس للصبح... فجعلها متحركة غير ساكنة، مدركة غير غافلة... وهذا ما نلحظه خاصة في التشبيهات والاستعارات...

- كان للتصوير البياني في القرآن الأثر الجمالي والفني البالغ في استمالة المتلقي، وتحريك مشاعره، وتنبيه حواسه، للإقبال على النص القرآني، والأخذ بما يحمله خطابه من أوامر ونواه. فالنفس بطبعها تنفر من الأمر والنهي، ولكن مجيئها في حلية زاهية، مرصعة بتلك الصور البيانية، أدعى للاستجابة.

- كان للفظة القرآنية تميزها، في تصوير المعنى وتشخيصه بلغة حسية، قادرة على إبلاغه في أحسن صورة... ولا نكون مبالغين إن قلنا إنها تصور المعاني أكثر من ريشة رسام متمرس.

- كان لعبد القاهر الجرجاني، من خلال نظرية النظم، فضل في إعادة بناء لنحوية النص، ضمن فاعلية التركيب، عن طريق تتبع المعنى ضمن أنظمة نحوية مختلفة، فيختلف المعنى باختلاف تموقع هذه البنى داخل التركيب الواحد.

- يلاحظ على سورة الشعراء، على ما جاء فيها من صور بيانية، أنها قليلة مقارنة مع بعض السور الطوال، كسورة البقرة وآل عمران والأعراف والنور... وربما هذا إعجاز في حد ذاته وتحد لمحترفي الشعر، كونهم يميلون إلى ترصيع أشعارهم بالصور البيانية والمحسنات البديعية لإيصال المعنى، وتبليغ المراد أكثر ، بيد أن سورة الشعراء التي تحمل اسم الشعر، قادرة على تبليغ المتلقي، وإيصال المعنى من غير حاجة إلى وسائل الشعراء أنفسهم، فالله قادر أن يبلغ خطابه في أي صورة كانت!..

- لم يكن الإسلام في يوم من الأيام عدوا للشعر والشعراء، ولا محاربا له، وإنما كان حريصا على إخضاع الجانب الجمالي للجانب الديني، أو قل للجانب الأخلاقي. فكان الإسلام ولازال ينبذ التجربة الجمالية التي تخرج عن الإطار الايماني، أو تحارب التجربة الإيمانية. وفي المقابل ما فتئ يطرب للقريحة الشعرية التي تخدم الأطر الأخلاقية، حتى وإن بدت عارية من المسحة الجمالية، وبيد أنه يطرب أكثر بامتزاج التجربة الشعرية المواكبة للجمالية بالتجربة الإيمانية (الأخلاقية).

- إن تفرد النص القرآني بيانيا، وتميزه كظاهرة لغوية، خوطب بها قوم أهل فصاحة وبيان، لم يكن أمرا عبثيا، بل كان بمثابة المعجزة التي أكدت نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، لاسيما مع تصاعد حدة العداء له، والسعي للنيل من صدقية كونه كلام الله تعالى. أفضى، فيما بعد، إلى طرح قضية الإعجاز بإلحاح، والبحث عن سر مكمنه.

- بدا النص النقدي متأثرا بالقرآن الكريم، لاسيما عند بزوغ شمس القرن الثالث الهجري وما تبعه، إذ بدأت فكرة الإعجاز تنمو شيئا فشيئا، على يد كل من الرماني، في كتابه "النكت في إعجاز القرآن"، والخطابي في كتابه بيان إعجاز القرآن، والباقلاني في كتابه إعجاز القرآن. إلى أن أدركها النضج على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز. فقدم هؤلاء الإعجازيون وأمثالهم خدمة جليلة للنقد الأدبي عن قصد أو عن غير قصد.

- وأهم المفاهيم النقدية التي جاء بها الدارسون للإعجاز من حيث اللفظ والمعنى والتركيب، فاللفظ عند الرماني خادم للمعنى، محدود العدد، مكمن المزية المعجزة، ويرى أن

المعنى الواحد له أكثر من صورة لفظية، وأما التركيب فهو غير متناهي الدلالة، فالتلاؤم الصوتي له دوره الإيجابي فيه.

بينما يرى الخطابي أن اللفظ حامل للمعنى، وأن المعنى قائم في اللفظ، والتركيب هو رباط ناظم لهما.

ويرى عبد القاهر الجرجاني، أن اللفظ خادم للمعنى، لا قيمة دلالية للمفرد الذي يقوم بدور الاشارة فقط إلى المعنى الذي يحدد من خلال النظم. وأما المعنى فهو بنية داخل النفس تدرك بواسطة القلب، والأفكار لها الرئاسة وهي مكمن المزية الابداعية، ويرى أن التركيب هو ذلك النظم القائم على علم النحو الذي حدد له دورا إبداعيا.

-من خلال المؤلفات التي تدور حول الإعجاز القرآني، والتي اطلعتُ على النزر اليسير منها، يبدو أن هناك حبلا متصلا وممتدا منذ ظهور الدعوة حتى يومنا هذا، أن القرآن يمثل تطورا غير عادي في حياة الناس أصاب الكتابة العربية، وأنه يتمتع بقابلية غير متناهية لقراءات نقدية متجددة، يمكن تلخيصها في "لا تنقضي عجائبه".

وفي الأخير فإن البحث لا يدعي أنه وصل إلى الكمال، بل حسبه أنه قد فتح أمام أقلام الباحثين النظر في هذه المسائل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

نص الآية	السورة	الرقم	صفحة
﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ(64)طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ(65)﴾	الصافات	65-64	3
﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾	غافر	49	5
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا(10)﴾	النساء	10	6
﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾	الحجرات	12	6
﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾	النحل	69	6
﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾	يوسف	26	6
﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(30)أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا(31)﴾		31-30	8
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ(80)﴾	ص	80	8
﴿الم(1)غُلِبَتِ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3)فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(4)﴾	الروم	4 -1	9
﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(16)﴾	الفتح	16	9
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(73)﴾	الزمر	73	13
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾	البقرة	179	14
﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾	آل عمران	112	14
﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ(7)تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾	الملك	8 -7	15
﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾	يونس	24	15
﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	ابراهيم	1	15
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾	الحشر	21	19
﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾	ص	6	19
﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾	ص	6	19
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾	الحجر	94	20

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾	الرعد	31	20
﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(88) ﴾	الاسراء	88	22
﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾	غافر	5	25
﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ(14) ﴾	الرعد	14	33
﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ(175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾	الاعراف	176 -175	33
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا(45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا(46) ﴾	الفرقان	46 -45	34
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا(4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(5) ﴾	الفرقان	5 -4	36
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ(18) ﴾	ابراهيم	18	37
﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى(7) ﴾	الضحى	7	39
﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	السجدة	10	39
﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ(95) ﴾	يوسف	95	40
﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(8) ﴾	يوسف	8	40
﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(30) ﴾	يوسف	30	40
﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(20) ﴾	الشعراء	20	40
﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ﴾	البقرة	282	40
﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ .	الشورى	52	40
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ(18) ﴾	ابراهيم	18	44
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(264) ﴾	البقرة	264	45

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ(154) ﴾	الأعراف	154	48
﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ(152) ﴾	الأعراف	152	48
﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾	الأعراف	150	48
﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾	الأعراف	150	49
﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾	الأعراف	154	49
﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ(37) ﴾	يس	37	50
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا(45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا(46) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا(47) ﴾	الفرقان	47 -45	50
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ(67) ﴾	يونس	67	51
﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ(2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ(3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ(4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ(5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ(6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ(7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ(10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ(11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ(12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ(13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ(14) ﴾	التكوير	14 -1	53
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ(12) ﴾	محمد	12	56
﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾	البقرة	223	56
﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾	الحجر	94	57
﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ(43) ﴾	الروم	43	57
﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	الشعراء	227	61
﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾	الانعام	35	62
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾	السجدة	13	62
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾	يونس	99	62
﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾	الانعام	137	62

﴿ طسم(1)تِلْكَ ءايات الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2) ﴾	الشعراء	2 -1	63
﴿ طس تِلْكَ ءايات الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ(1) ﴾	النمل	1	63
﴿ طسم(1)تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2) ﴾	القصص	2 -1	63
﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(252) ﴾	البقرة	252	63
﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ(213) ﴾	الشعراء	213	64
﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ(87)يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ(88)إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89) ﴾	الشعراء	89 -88	64
﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ(193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(194) ﴾	الشعراء	194 -192	64
﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾	الشعراء	6	64
﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227) ﴾	الشعراء	227	64
﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(3) ﴾	الشعراء	3	64
﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ(193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(194)بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195) ﴾	الشعراء	195 -192	65
﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(252) ﴾	البقرة	252	65
﴿ طسم(1)تِلْكَ ءايات الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2) ﴾	الشعراء	2 -1	65
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(7)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(8)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(9) ﴾	الشعراء	9 -7	65
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(67)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(68) ﴾	الشعراء	68 -67	66
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(103)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(104) ﴾	الشعراء	104 -103	66
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(121)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(122) ﴾	الشعراء	122 -121	66
﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ(193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(194)بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195)وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ(196)أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ(197)..﴾	الشعراء	197 -192	66
﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ(210)وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ(211)..﴾	الشعراء	211 -210	66

جمعية أم القرى للعلوم الإسلامية

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ(63) ﴾	الشعراء	63	69
﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(95) ﴾	الأنعام	95	69
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(51) ﴾	غافر	51	70
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(120) ﴾	هود	120	70
﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ(34) ﴾	الانعام	34	70
﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ(77) ﴾	طه	77	71
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ ﴾	لقمان	32	72
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ(173) ﴾	الشعراء	173	73
﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ(80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ(81) ﴾	الاعراف	81 -80	74
﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(56) ﴾	النمل	56	74
﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ(74) ﴾	الحجر	74	74
﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(118) ﴾	الشعراء	118	77
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ(1) ﴾	النصر	1	77
﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ(52) ﴾	المائدة	52	77
﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(89) ﴾	الاعراف	89	77
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(14) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ(15) ﴾	العنكبوت	15 -14	78
﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ(114) ﴾	الشعراء	114	78

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ(52) ﴾	الانعام	52	78
﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ(117) ﴾	الشعراء	117	78
﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(118) ﴾	الشعراء	118	79
﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا(26) ﴾	نوح	26	79
﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ(10) ﴾	القمر	10	79
﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ(26) ﴾	سبأ	26	79
﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ(13) ﴾	الشعراء	13	80
﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(25) ﴾	التوبة	25	80
﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ(70) ﴾	النمل	70	80
﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(23) ﴾	القلم	23	81
﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(29) ﴾	طه	29	82
﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ(34) ﴾	القصص	34	82
﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(215) ﴾	الشعراء	215	83
﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3) ﴾	الواقعة	3	83
﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(214) ﴾	الشعراء	214	83
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ(2) ﴾	المسد	2 -1	84
﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾	الأنعام	38	85
﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾	المائدة	31	85
﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ(19) ﴾	ص	19	86
﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88) ﴾	الحجر	88	86
﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88) ﴾	الحجر	88	86
﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(3) ﴾	الشعراء	3	87
﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا(6) ﴾	الكهف	6	87

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(48) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(49) ﴾	القلم	49 -48	88
﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(12) ﴾	هود	12	88
﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(8) ﴾	فاطر	8	88
﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225) ﴾	الشعراء	225 -224	89
﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا(59) ﴾	مريم	59	90
﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ(55) ﴾	الواقعة	55	91
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225) ﴾	الشعراء	225	91
﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ(5) ﴾	الانبياء	5	92
﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ(69) ﴾	يس	69	92
﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224) ﴾	الشعراء	224	92
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225) ﴾	الشعراء	225	92
﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227) ﴾	الشعراء	227	94
﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(84) ﴾	الشعراء	84	95
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(128) ﴾	البقرة	128 -127	95
﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(84) ﴾	الشعراء	84 -83	96
﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(128) ﴾	البقرة	128	97
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا(96) ﴾	مريم	96	98
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(105) ﴾	الشعراء	105	98
﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(118) ﴾	الشعراء	118	98

جمعية القلم الذهبي للعلوم الإسلامية

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا(150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا(151)﴾	النساء	150 -151	99
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ(123)﴾	الشعراء	123	99
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾	الشعراء	141	99
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ(208)﴾	الشعراء	208	100
﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(195)﴾	البقرة	195	100
﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(4)﴾	الشعراء	4	102
﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(24)﴾	القصص	24	102
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا(32)﴾	الاحزاب	32	103
﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ(90)﴾	يونس	90	104
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . .﴾	البقرة	252	104
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(99)﴾	يونس	99	104
﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(22)﴾	الغاشية	22	104
﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(4)﴾	الشعراء	4	104
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(4)﴾	يوسف	4	104
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(135)﴾	الشعراء	135	106
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ(47)﴾	الحج	47	106
﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(9)﴾	المدثر	9	107
﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَقِيمٍ(55)﴾	الحج	55	107

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ(18)وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(19)قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(20) ﴾	الشعراء	20 -18	108
﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(27)يَفْقَهُوا قَوْلِي(28) ﴾	طه	28 -27	109
﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(19) ﴾	الشعراء	19	110
﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ(28) ﴾	الشعراء	28	110
﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(258) ﴾	البقرة	258	111
﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ(165) ﴾	الشعراء	165	112
﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(1) ﴾	النحل	1	112
﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا(62) ﴾	الكهف	62	112
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ(173) ﴾	الشعراء	173	113
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(21) ﴾	الروم	21	113
﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ(28) ﴾	العنكبوت	28	114
﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(82) ﴾	الشعراء	82	115
﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ(51) ﴾	الشعراء	51	115
﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ(3) ﴾	غافر	3	116
﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى(82) ﴾	طه	82	116
﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا(58) ﴾	الكهف	58	116
﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ(89) ﴾	الصافات	89	117
﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ(63) ﴾	الانبياء	63	117
﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(83) ﴾	الشعراء	83	118
﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ(9) ﴾	ص	9	118
﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ(72) ﴾	الانبياء	72	118

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ(130) ﴾	البقرة	130	119
﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ(213) ﴾	الشعراء	213	120
﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾	النور	63	120
﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ(69) ﴾	البقرة	69	120
﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(23) ﴾	البقرة	23	121
﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(65) ﴾	الزمر	65	122
﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227) ﴾	الشعراء	227 -224	124
﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾	الانبياء	5	124
﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ(36) ﴾	الصافات	36	125
﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ(30) ﴾	الطور	30	125
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(41) ﴾	الحاقة	41	125
﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ(69) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ(70) ﴾	يس	70 -69	125
﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227) ﴾	الشعراء	227 -224	125
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ(6) ﴾	النمل	6	126
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا(23) ﴾	الانسان	23	126
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	الاسراء	9	126
﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا(30) ﴾	الفرقان	30	126
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	سبأ	31	126
﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾	محمد	3	126

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾	يس	69	127
﴿الرَّحْمَنُ(1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2)﴾	الرحمن	2 -1	127
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(16)إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(17)فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(18)﴾	القيامة	18 -16	127
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾	محمد	3	127
﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224)﴾	الشعراء	224	127
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(42)﴾	الحجر	42	127
﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾	الشعراء	226	127
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾	الشعراء	227	128
﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224)﴾	الشعراء	224	129
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225)﴾	الشعراء	225	131
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(41)﴾	الحاقة	41	131
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾	يس	69	131
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾	النور	39	151
﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾	يوسف	17	153

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

الحديـــث	الصفحة
إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة...	61
أعطيت السورة التي تُذكر فيها البقرة...	62
... لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي ...	84
يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من...	84
أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيدٍ...	94 و133
خلِّ عنه يا عمر فلَهي أسرع فيهم من نضح النبل...	94
لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا، خير له...	94
إن الدعاء هو العبادة	121
كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم	129
لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه ...	129
خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، ...	130
أنه لأسرع فيهم من رشق النبل...	130
الشعر كلام من كلام العرب، ...	132
أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار	132
...لا تقل عن جذمنا، ولكن قل...	132
ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله...	132
أهجوا المشركين بالشعر...	133
صدق يا عائشة، لا يشكر الله من ...	133
هل معك من شعر أمية بن أبي ...	134
أين المظهر يا أبا ليلى؟	134

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشعار

البيـــت	الشاعر	البحر	الصفحة
- أ-			
فإن الحـق مقطـعه ثـــلاث أداء أو نفـــار أو جـــلاء	زهير بن أبي سلمى	بحر الوافر	138
- ب-			
إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانـوا غضابـا	معاوية بن مالك	بحر الوافر	6
تـوعدني كعـب ثلاثـا يعدّهـــا ولاشك أن القول ما قال لي كعب وما بي خوف الموت إني لميت ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب	عمر بن الخطاب	بحر الطويل	139
بلونـا ضرائب من قـد نـرى فما إن رأينـا لفتـح ضريبـا هو المـرء أبدت لـه محادثـــا ت عزما وشيكا ورأيا صليبا تنقـل فـي خلـــقى ســـؤدد سماحـا مرجـى وبأسـا مهيبـا فكالسيف إن جئتـه صارخـــا وكالبحـر إن جئتـه مستثيبـا	البحتري	بحر المتقارب	155
- ح-			
فلئن ربك من رحمته كشَف الضَّيقة عنا وفسح	الأعشى	الرمل	80
- د-			
وما أنـا إلا من غُزَيّة إن غَـوَتْ غويتُ وإن ترشُدْ غُزيّة أرشدِ	دريد بن الصمة	بحر الطويل	90
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيـك بالأخبـار ما لـم تـزود ويأتيك بالأخبـار من لـم تبع لـه بتاتا ولم تضرب له وقت موعد	طرفة بن العبد	بحر الطويل	131
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد	الحطيئة	بحر الطويل	138
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقـى الإلـه ويفنى المـال والولـد	عمر بن الخطاب	بحر البسيط	139
- ر-			
علـونا السمـاء عفـة وتكرمـا وإنـا لنبـغي فـوق ذلـك مظهـرا	النابغة الجعدي	بحر الطويل	134
ولأنـت أشجـع مـن أسامـة إذ دُعِيَتْ نَـزَال ولُـجَّ في الذُّعَر	زهير بن أبي سلمى	بحر الكامل	136
ماذا تقـول لأفـراخ بذي مـــرخ * حُمر الحواصل لا ماء ولا شجر غيّبت كاسبهم في قعـر مظلمـة* فاغفـر عليك سـلام الله يا عمـر أنت الأمين الذي من بعد صاحبه*ألقت إليك مقاليد النـهى البشـر	الحطيئة	بحر البسيط	137

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بها الإثر			
ألا أيها الباخع نفسه بشيء نحته عن يديه المقادر	ذو الرمة	بحر الكامل	87
هوّن عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها فليس يأتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها	عمر بن الخطاب	بحر المتقارب	138
وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر	غير منسوب	بحر الرجز	149

- ز -			
يجزيك أو يثني عليك فإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى	زهير بن جناب	بحر الكامل	133

- س -			
دع المكارم، لاترحل لِبُغيتها واقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي	الحطيئة	بحر الكامل	137

- ع -			
مقاتلنا عن جذمنا كل فخمة مذربة فيها القوانس تلمع	كعب بن مالك	بحر الوافر	132

- ل -			
فعجبت منها حين زلت عينها عن ماجد طلق اليدين شمردل	عنترة	بحر الكامل	81
خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويُذهل الخليل عن خليله	عبد الله بن رواحة	بحر الكامل	94
أبيت مع الهلاك، ضيفا لأهلها وأهلي قريب موسعون، ذوو فضل	جميل بثينة	بحر الطويل	100
ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل	عنترة	بحر الكامل	102
المرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح، وإشفاق، وتأميل	عبد بن الطيب	بحر البسيط	138

- م -			
قالت بنو عامر خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضرّارا لأقوام	النابغة الذبياني	بحر البسيط	99
قد أعسف النازح المجهول معْسِفَهفي ظل أغْضَفَ يدعُو هامه البوم	ذو الرمة	بحر البسيط	102
يدعون عنْتَرَ والدُّروع كأنها حَدَقُ الضفادع في غَدير أدهم	عنترة	بحر الكامل	120
وإن جياد الخيل لا تستفِزُّنا ولا جاعلات الرِّيط فوق المعاصم	الحطيئة	بحر الطويل	137
رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم	أبو حية	بحر	150

رميم التي قالت لجيران بيتها ألا رب يوم لو رمتني رميتها	ضمنت لكم ألا يزال يهيم ولكن عهدي بالنضال قديم	النميري	الطويل	

- ن-				
وطفقت سحابة تغشاها	تبكي على عراصها عيناها	غير منسوب	بحر الرجز	5
فهو مشغوف بهند هائم	يرعوي حينا، وأحيانا يحنْ	الأعشى	بحر الرمل	91
إذا الإيمان ضاع فلا أمان ومن رضي الحياة بغير دين	ولا دنيا لمن لم يحيي دينا فقد جعل الفناء لها قرينا	محمد إقبال	بحر الوافر	129
ارفع ضعيفك لا يَحُر بك ضَعفُه	يوما فتدركه عواقب ما جنى	زهير بن جناب	بحر الكامل	133

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.

أولا: المصـــادر

1. **ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1380هـ 1960م.**
2. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، ملاك التأويل "القاطع بذوي الإلحاد والتأويل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل"، ت. سعيد الفلاح، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ 1983م.
3. الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، الأصمعيات، ت. أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، د. ط، دار المعارف، مصر، 1375هـ 1955م
4. الأعشى الكبير، "ميمون بن قيس"، الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ 1987م.
5. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت. محمود شكري الألوسي، د. ط، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د. ت.
6. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ت أحمد صقر، د. ط، دار المعارف، د. م، 1963م.
7. البخاري، عبد الله بن محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، د. ط، دار ومطابع الشعب، د. م، د. ت.
8. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ 1995م.
9. البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد بن عمر، \أنوار التنزيل وأسرار التأويل، د.ط، دار الفكر، د.م، د.ت.
10. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، صحيح سنن الترمذي باختصار السند، ت. محمد نصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1408هـ 1988م.
11. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

- البيان والتبيين، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
- الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1388 هـ-1969 م.

12.الجرجاني، عبد القاهر:

- أسرار البلاغة "في علم البيان"، صححه وعلق على حواشيه محمد رشيد رضا، د. ط، دار ابن تيمية، القاهرة، د. ت.
- دلائل الإعجاز، ط1، مكتبة القاهرة، مصر، 1389هـ 1969م.

13.جمال الدين القاسمي، محمد، تفسير القاسمي، المسمى: محاسن التأويل، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1398هـ 1978م.

14.جميل بثينة، الديوان، شرح عبد المجيد زرقاط، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1404هـ 1989م.

15.الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، ت. أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، لبنان، 1404هـ 1984م.

16.ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط3، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر، دمشق.

17.حسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، التبيان في البيان، ط1، دار البلاغة، لبنان، 1411هـ 1991م.

18.الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك، ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ 1998م.

19.الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ت. محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط4، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

20.الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة "المعاني والبيان والبديع"، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت.

21.ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ط2، دار القلم، بيروت، 1409هـ 1989م.

22.ذو الرمة، ديوان شعر ذو الرمة "عيلان بن عقبة"، شرح: زهير فتح الله، ط1، دار صادر، بيروت، 1955م.

23.الرازي، فخر الدين ضياء الدين عمر:

- التفسير الكبير، ط1، دار الفكر، لبنان، 1401هـ 1981م.
- شرح أسماء الله الحسنى، ت. طه عبد الرؤوف سعد، د. ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1396هـ 1976م.

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت. بكري شيخ أمين، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1985م.

24. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ت. محمد خليل عيتاني، ط1، دار المعرفة، لبنان، 1418هـ 1998م.

25. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة "في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، ت. عبد الحميد هنداوي، د. ط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1424هـ 2004م.

26. الرماني، أبو الحسن بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ت. محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط4، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

27. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ت.

28. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:

- أساس البلاغة، ت. عبد الرحيم محمود، د. ط، دار المعرفة، د. ت.
- الفائق في غريب الحديث، ط1، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، د. ت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، د. ط، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

29. زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، ت. خليل شرف الدين، د. ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1999م.

30. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط2، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1411هـ 1990م.

31. ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ت. مصطفى السقا، وحسن نصار، ط1، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، د. م، 1377هـ 1958م.

32. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، ط4، دار إحياء العلوم، بيروت، 1403هـ 1983م.

33. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ت. علي محمود مقلد، د. ط، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1986م.

34. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير "تفسير الشوكاني"، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ 2001م.

35. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1411هـ 1991م.

36.أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، راجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1416هـ 1996م.

37.عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1409هـ 1989م.

38.أبو عبد الله الأبّي، شرح صحيح مسلم المسمى "إكمال إكمال المعلم"، د. ط، مكتبة طبرية، الرياض، د. ت.

39.عبد الله بن عباس، غريب القرآن في شعر العرب "سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس"، ت. محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1413هـ 1993م.

40.ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، كتاب العقد الفريد، شرحه وضبطه ورتب فهارسه ابراهيم الأبياري، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

41.أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، علق عليه محمد فؤاد سزكين، د.ط، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت.

42.العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، ت. مفيد قميحة، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1404هـ 1984م.

43.ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت. عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ 1993م.

44.أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ت. هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي، ط1، دار المعرفة، لبنان، 1406هـ 1986م.

45.عنترة بن شداد، الديوان، د. ط، دار بيروت، بيروت، 1398هـ 1978م.

46.الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، معاني القرآن، ت. محمد علي النجار، د.ط، الدار المصرية، د.م، د.ت.

47.الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، ت. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1408هـ 1988م.

48.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري:

- الجامع لأحكام القرآن، د ط، دار الإحياء العربي، بيروت، د ت.
- الجامع لأحكام القرآن، ت. أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، ط3، دار الكتاب العربي، مصر، 1387هـ 1967م.

49.ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط8، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1406هـ 1986م.

50.ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، صحيح سنن ابن ماجه، ت. محمد ناصر الدين الألباني، ط3، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1408هـ 1988م.

51.مسلم، أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، المسمى الجامع الصحيح، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1422هـ 2001م.

52.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ط1، دار صادر للطباعة، بيروت، 1997م.

53.ابن ناقيا، أبو القاسم عبد الله بن محمد، الجمان في تشبيهات القرآن، ت. محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، محرم 1423هـ أفريل 2002م.

54.أبو يحيى زكرياء الأنصاري، فتح الرحمن ما يلتبس في القرآن، ت. محمد علي الصابوني، ط2، د.ن، الجزائر، 1408هـ 1988م.

ثانيا: المراجع

1. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ط3، مكتبة نهضة مصر، د. ت.

2. أحمد مختار عمر، أسماء الله الحسنى "دراسة في البنية والدلالة"، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1417هـ 1997م.

3. أحمد مطلوب، فنون بلاغية "البيان والبديع"، ط1، دار البحوث العلمية، د.م، 1395هـ 1975م.

4. أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، ط1، دار المكتبي، سوريا، 1415هـ 1994م.

5. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.

6. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط5، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1406هـ 1986م.

7. أمين شيخ، بكري:

- البلاغة العربية في ثوبها الجديد "علم البيان"، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1402هـ 1982م.
- التعبير الفني في القرآن، ط4، دار الشروق، بيروت، 1400هـ 1980م

8. بلتاجي، محي الدين، دراسات في التفسير وأصوله، ط1، دار الهلال، بيروت، 1987م.

9. حسن الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، ط2، د. ن، د. م، 1976م.

10. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1409هـ 1989م.

11. خالد عباس أسدي، محمد إقبال "قصائد مختارة ودراسات"، د. ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ت.

12. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

13. سوسير فرديناند، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م.

14. شفيع السيد، التعبير البياني "رؤية بلاغية نقدية"، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1415هـ 1995م.

15. ضياء الدين عتر، حسن، بينات المعجزة الخالدة، ط1، دار النصر، حلب، سوريا، 1395هـ، 1975م.

16. ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، ط5، دار المعارف، مصر، د. ت.

17. الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري ومدى تأثرها بالقرآن، د. ط، منشورات جامعة باتنة، رسالة ماجستير، 1996م.

18. الطنطاوي، محمد السيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. ط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1405هـ 1985م.

19. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، د. ط، الدار التونسية، تونس، 1984م.

20. عبد الرحمن، عائشة "بنت الشاطئ"، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1397هـ 1977م.

21. عبد السلام أحمد الراغب، الدراسة الأدبية، النظرية والتطبيق "نصوص قرآنية"، ط1، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، حلب، سوريا، 1425هـ 2005م.

22. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط2، الدار العربية للكتاب، د. م، 1982م.

23. عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، د. ط، دار الفكر العربي، د. م، د. ت.

24. عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، ط4، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002م.

25. علي الصابوني، محمد، صفوة التفاسير، ط4، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402هـ 1981م.

26. علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ط1، دار المشرق، بيروت، 1992.

27. عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التطور والتاريخ، ط2، منشأة المعارف، مصر، د. ت.

28. عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب "مدخل إلى نظرية الأدب العربي"، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000م.

29. فتحي أحمد عامر، البلاغة بين الفن والتاريخ، د. ط، مكتبة المعارف، الإسكندرية، د. ت.

30. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1420هـ 1999م.

31. قطب، سيد:

- التصوير الفني في القرآن، ط7، دار الشروق، بيروت، 1402هـ 1982م.
- في ظلال القرآن، الطبعة الجديدة، دار الشروق، بيروت، 1405هـ 1985م.
- مشاهد القيامة في القرآن، د. ط، دار الشروق، لبنان، د. ت.

32. قطب عبد العال، محمد، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، سلسلة شهرية تصدرها رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة التاسعة، ع99، 1410هـ 1990م.

33. قطب، محمد، منهج الفن الإسلامي، ط8، دار الشروق، بيروت، 1413هـ 1993م.

34. محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م.

35. محمد السيد شيخون، الأسلوب الكنائي "نشأته، تطوره، بلاغته"، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1398هـ 1978م.

36. محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1405هـ 1985م.

37. محمد بركات، حمدي أبو علي، دراسات في الإعجاز البياني، ط1، دار وائل، عمان، الأردن، 2000م.

38. محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ط3، دار المعارف، د. ت.

39. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

40. محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم "إعرابه وبيانه"، ط1، دار الحكمة سوريا، 1409هـ 1988م.

41. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، د. ط، دار العودة، بيروت، 1986م.

42. المحمدي عبد العزيز الحناوي، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، ط1، دار الطباعة المحمدية، مصر، 1404هـ-1984م.

43. مصطفى المراغي، أحمد، تفسير المراغي، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

44. مفيد قميحة، شرح المعلقات السبع، الطبعة الأخيرة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2000م.

45. ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، ط3، دار الأندلس، د. م، 1983م.

46. وحيد صبحي كبابة، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس "دراسة"، د. ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.

الدوريات:

1. مجلة التجديد، بن عيسى بطاهر، قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، ع11، تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ذو القعدة 1422هـ فبراير 2002م.

2. مجلة عيون البصائر، الإبراهيمي، محمد البشير، "آثار محمد البشير الإبراهيمي"، جمع وتقديم: نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé

Cette recherche traite de « la représentation manifeste dans la sourate échouara » (les poètes) qui en représente le signe apparent et dominant. Aussi la représentation est elle la base fondamentale et l'instrument de prédilection dans le style coranique.

En effet il exprime par l'image concrète le sens idéel, l'état psychique, le fait palpable, la scène visible, la condition humaine ainsi que l'aspect naturel du ciel, de la terre, des montagnes, des mers, de la nuit, du jour, de l'animal et du végétal ; pour ensuite transcender toujours par l'image qu'il dessine et à laquelle il confie la vie animée et le mouvement qui se perpétue. Alors devient le sens mentale forme ou mouvement, l'état psychique une toile ou acte, la nature humaine prend forme visualisable et les composants naturels de l'univers deviennent des corps vivants, non inertes, movibles et dynamiques.

Le lexème coranique est investi de signes artistiques et esthétiques qui décrivent l'état psychique dépassant la plume du peintre le plus avéré. Le lexème y est chargé de couleur, de prisme, de son et de dimension ...

Notre recherche a également traité de la chronologie du « cours représentatif » dans le coran élaborée par une panoplie d'edurits (Oulamas) du IV^{ème} siècle hégire jusqu'à l'ère moderne en soulignant ce que le « cours représentatif » a comme effet esthétique dans le texte coranique.

Par ailleurs, notre recherche a pris en charge l'effet de l'aspect miraculeux du coran sur l'évolution du mouvement critique en insistant sur le lexème et le sens (niveau lexical, sémantique et de la composition).

Comme il est question dans notre recherche, de l'attitude de l'Islam à l'égard de la poésie et des poètes. Il a par conséquent oté toute poéticité, au texte coranique et la qualité du poète du prophète Mohamed (Prières et La Paix de Dieu sur Lui).

Notre recherche compte ainsi : une introduction, trois chapitres et une conclusion.

الفهـــــــرس

مقدمة ....

الفصل الأول: الدرس البياني للقرآن الكريم، كرونولوجيا وجماليات

المبحث الأول: جهود الباحثين في الدرس البياني للقرآن الكريم 3

1- الجاحظ ورأيه في البيان القرآني 3

2- النكت في إعجاز القرآن 11

مقاييس البيان عند الرماني 13

3- بيان إعجاز القرآن للخطابي 16

4- الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن 20

(1) وجوه إعجاز القرآن 21

(2) وجوه إعجاز النظم القرآني 21

(3) مقارنة تطبيقية بين القرآن وبين الكلام البشري 23

5- عبد القاهر الجرجاني ودلائل الإعجاز 25

6- الكشاف وبداية التفسير البياني للزمخشري 30

7- سيد قطب والتصوير الفني في القرآن 32

8- محمد الطاهر بن عاشور وتفسير التحرير والتنوير 34

9- بنت الشاطئ والتفسير البياني للقرآن الكريم 38

المبحث الثاني: الأثر الجمالي في التصوير البياني في القرآن الكريم 42

التشخيص وأثره الجمالي في التعبير 47

جماليات الأداء التصويري في آيات الكون 50

التصوير الجمالي في مشاهد القيامة 53

استنتاج 56

الفصل الثاني: التصوير البياني في سورة الشعراء

المبحث الأول: التعريف بالسورة 60

1- التسمية 60

2- مكية أو مدنية 60

3- فضلها 61

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- مناسبتها لما قبلها و ما بعدها 62
- الوحدة العضوية بين السور الثلاث: الشعراء، النمل، القصص .. 63
5- محاور السورة 64
المبحث الثاني: التشبيه في سورة الشعراء 68
أولا: التشبيه المرسل 68
ثانيا: التشبيه البليغ 73
المبحث الثالث: المجاز في سورة الشعراء 76
أولا: المجاز اللغوي 76
أ/ الاستعارة 76
1- الاستعارة التصريحية 77
2- الاستعارة المكنية 80
3- الاستعارة التمثيلية 87
ب/ المجاز المرسل 95
1- العلاقة الآلية 95
2- العلاقة الكلية 98
3- العلاقة المحلية 100
ثانيا: المجاز العقلي 101
المبحث الرابع: الكناية في سورة الشعراء 108
أولا: التهويل بالكناية 108
ثانيا: الإشارة بالكناية 110
ثالثا: التوبيخ بالكناية 112
المبحث الخامس: التعريض في سورة الشعراء 115
أولا: التحذير بالتعريض 115
ثانيا: التعريض بالدعاء 118
ثالثا: الوعد والوعيد بالتعريض 120

الفصل الثالث: أثر البيان القرآني في تطور النقد الأدبي

المبحث الأول: موقف الإسلام من الشعر 125
أولا: موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء 125
ثانيا: موقف الرسول - صلى الله عليه وسلم- من الشعر والشعراء .. 131
ثالثا- موقف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من الشعر والشعراء 134

المبحث الثاني: أثر الإعجاز القرآني في تطور الحركة النقدية 140
مستوى اللفظ والمعنى 141
1- الرماني ومسألة اللفظ والمعنى 141
2- الخطابي ومسألة اللفظ والمعنى 143
3- عبد القاهر الجرجاني ومسألة اللفظ والمعنى 146
المبحث الثالث: مستوى التركيب 148
1- الرماني ومسألة التركيب 148
2- الخطابي ومسألة التركيب 151
3- عبد القاهر الجرجاني ومسألة التركيب 153
خاتمة 157
فهرس الآيات 161
فهرس الأحاديث 172
فهرس الأشعار 173
قائمة المصادر والمراجع..... 176
الفهرس 184

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية